المختصر في العقائد

سماحة الشيخ نزار آل سنبل القطيفي

الطبعة السادسة

١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م

المختصر

في العقائد



الشيخ

نزار آل سنبل القطيفي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين .

وبعد فهذه الأوراق كتبتها استجابة لمن يهمني أمره خلاصة مختصرة لبيان مهمات عقائد الشيعة الإمامية ووضعتها تسهيلاً للناشئة ولمن أحب الاطلاع على عقائدهم من مصادرهم، وقد اخترتها من كتابين لعلمين من علمائنا الكبار، كتاب (عقائد الإمامية) لسماحة آية الله الشيخ محمد رضا المظفر تتئ ، وكتاب (مقدمة في أصول الدين) لسماحة آية الله العظمى الشيخ حسين الوحيد الخراساني حفظه الله، وأضفت عليها بعض الأبحاث المهمة التي لم تكن موجودة فيهما ، والله و لي التوفيق وهو الغاية.

نزار بن محمد شوقي آل سنبل

ربيع الثاني ١٤٢٨هـ

المدخل

وهو يشتمل على نقاط :

النقطة الأولى : الفطرة :

قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [1].

وفي الأحاديث الإسلامية ما ورد في الكافي :

١- عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت :﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ ؟ قال : التوحيد .

٢- عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سألته عن قول الله عز وجل : ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ ؟ قال : هي الإسلام، فطرهم الله حين أخذ ميثاقهم على التوحيد، قال : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ وفيه المؤمن والكافر ..

---

(١) سورة الروم : ٣٠ .

٣- عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال : سألته عن قول الله عز وجل : ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾؟ قال : الحنيفية من الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله قال: فطرهم على المعرفة به[1].

٤- وقال الشيخ المفيد : وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله رواية تلقاها العامة والخاصة بالقبول، قال : كل مولود يولد فهو على الفطرة، وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه [2].

أقول : مما اتفق عليه بنو الإنسان وجود أمور فطرية فطر الإنسان عليها وهي التي لا تحتاج في إثباتها إلى إعمال الفكر بل يذعن الإنسان بها بمجرد رجوعه إلى نفسه ورفع الموانع عنها ، فلو خلي الإنسان وطبعه لاتجه إليها وأتى بها ولكن الأسرة والتربية والتعليم والبيئة والمجتمع أسباب تخرج الفطرة السليمة عن الجادة المستقيمة ، والإسلام دين الفطرة، دين القيم التي تناسب فطرة الإنسان في جميع أدوار حياته .

(١) الروايات الثلاث في الكافي ٢ : ١٢.

(٢) تصحيح الاعتقاد : ٦١ .

النقطة الثانية : العقل :

قال تعالى :﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[١].

وجاء في الروايات الإسلامية عن صفة العقل ما ورد في تحف العقول : (وقال ﷺ : إنما يدرك الخير كله بالعقل، ولا دين لمن لا عقل له)[٢].

وفي بحار الأنوار : وقال : قسم الله العقل ثلاثة أجزاء فمن كن فيه كمل عقله، ومن لم تكن فيه فلا عقل له : حسن المعرفة لله، وحسن الطاعة لله، وحسن الصبر على أمر الله[٣].

وفي الكافي عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام : (يا هشام إن لله على الناس حجتين : حجة ظاهرة وحجة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة عليهم السلام ، وأما الباطنة فالعقول)[٤].

ومما اختص به الفكر الإمامي أنه لم يجمد العقل كما فعل الأشاعرة، ولم يطلق له العنان في كل شيء كما حاوله

---

(١) سورة الرعد : ١٩ .

(٢) تحف العقول ص ٥٤ .

(٣) بحار الأنوار ٤٧ : ١٥٨ .

(٤) الكافي للكليني ١ : ١٦ .

المعتزلة، ولكنه فيه بين أمرين، فهناك أمور لا محيص فيها عن إعمال العقل، وأمور لا مسرح له فيها، فهو يعتمد في الاستدلال على إثبات وجود الخالق وما يشبهها من مسائل العقيدة على العقل؛ إذ لو استدل بالقرآن على وجود الخالق للزم توقف الشيء على نفسه وهو ما أطلقوا عليه بمحذور الدور والمصادرة على المطلوب وهو باطل؛ إذ لو كان جواب من سأل: ما هو الدليل على وجود الله؟ هو أن الله تعالى قال: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ﴾، لجاء السؤال: من الذي قال هذا الكلام؟ فإن كان الجواب هو الله لعاد السؤال الأول ثانية: ما هو الدليل على وجود الله فيدور السائل والمجيب في حلقة مفرغة.

وبناء على هذا فعندما نستشهد بآية أو رواية في مثل هذا المقام فإنما هو للاستضاءة بها؛ لأنها تنبه العقل وتوقظ الفطرة، وفيها من المسائل الحكمية ما يعجز عنه إلا أهله.

النقطة الثالثة: ضرورة المعرفة:

إنّ احتمال وجود مبدأ للكون ومعاد يعود إليه الإنسان يوجب البحث والسعي لتحصيل المعرفة الدينية، فما دام الإنسان يحتمل أنّ لهذا العالم خالقاً عليماً حكيماً، وأنّ

الموت ليس نهاية لحياته، وأنّ لخالقه هدفاً من خلقه إيّاه، وأنه قد وضع له قانوناً إن هو لم يطبّقه وقع في الشقاء الأبدي، فإنّ فطرته توجب عليه أن يهتمّ بهذا الاحتمال مهما كان ضعيفاً، لكون المحتمل أمراً مهماً جدّاً، وتدفعه للبحث عن حقيقة الأمر ولا يهدأ ولا يستقرّ حتّى يصل إلى نتيجة قطعيّة حاسمة، نفياً أو إثباتاً .

فهو كمن احتمل وجود تماسّ كهربائي يسبّب احتراق بيته بمن فيه وما فيه، فإنه لا يستقرّ لحظة، بل يفحص ويبحث حتّى يتيقّن بعدم وجود الخطر .

الفصل الأول في الإلهيات

١- عقيدتنا في اللّه تعالى :

نعتقد بأن اللّه تعالى واحد أحد ليس كمثله شيء، قديم أزلي أبدي، هو الأول والآخر، عليم حكيم عادل حي قادر غني سميع بصير. ولا يوصف بما توصف به المخلوقات، فليس هو بجسم ولا صورة، وليس له ثقل أو خفة، ولا حركة أو سكون، ولا مكان ولا زمان، ولا يشار إليه . كما لا ند له، ولا شبه، ولا ضد، ولا صاحبة له ولا ولد، ولا شريك، ولم يكن له كفواً أحد . لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار .

٢- الدليل على وجود اللّه تعالى :

هناك أدلة كثيرة على وجود اللّه تعالى ونقتصر على دليل واحد بسيط وهو :

لو عثر على ورقة مطروحة في صحراء مكتوب عليها حروف المعجم من الألف إلى الياء بالترتيب، فإنّ ضمير كلّ إنسان يشهد بأنّ كتابة تلك الحروف وترتيبها ناتجة عن فهم

وإدراك .

وإذا رأى على الورقة كلاماً علمياً منسّقاً من الكلمات، فإنه سيؤمن بعلم الكاتب وفكره، بنسبة ذلك التأليف والتنسيق، ويستدلّ به على علمه وحكمته .

فهل تكوين نبتة من عناصرها الأوّلية أقلّ دلالة على علم صانعها وحكمته من تركيب جملة من الكلام الدالّ بوضوح على علم كاتبه؟!

فما بال الإنسان يستدلّ بالسطر على علم كاتبه وحكمته، ولا يستدلّ بالنبتة على علم خالقها وصانعها وحكمته؟!

ما هذه الحكمة والعلم الذي جعل من الماء والتراب ما يبلي قشر الحبّة ويُحيي لبّها بالحياة النباتية!

وأعطى لجذر النبتة قدرة يشقّ بها الأرض، ويجذب قوت النبتة وغذاءها من ظلمة التراب!

وهيّأ في كلّ قطعة من مائدة التراب أقواتاً لأنواع النباتات والأشجار المختلفة، فصارت كلّ نبتة وشجرة تجد فيها غذاءها الخاص!

وجعل جذور كلّ شجرة لا تجذب إلاّ الغذاء الخاص الذي

ينتج ثمرتها الخاصّة!

وجعل الجذور تكافح جاذبية الأرض، فترسل الماء والغذاء إلى فروع الشجرة وغصونها!

وفي نفس الوقت الذي تعمل فيه الجذور في الأعماق، جعل الفروع والغصون والأوراق تنشط في الفضاء للحصول على النور والهواء!

إنّ التأمّل في خلق شجرة واحدة من عروقها إلى آلاف أوراقها، وما فيها من أنظمة مدهشة محيّرة للعقول، وما أعطي لكلّ خليّة من خلايا أوراقها من القدرة على جذب الماء والغذاء من أعماق الأرض بواسطة الجذور، وارتباطها بما في السماء والأرض وما بينهما من النواميس المؤثّرة في حياتها، من اختلاف الليل والنهار وسطوع الشمس عليها ومرور الهواء بها وغيرها يكفي للإنسان أن يؤمن بالعلم والحكمة اللامتناهية وراء ذلك .

قال تعالى : ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾[1].

(١) سورة النمل : ٦٠ .

وكذلك التأمّل في حياة كلّ حيوان، فإنه يهدي إلى الله تعالى، جاء أبو شاكر الديصاني إلى الامام الصادق عليه السلام فقال له : يا جعفر بن محمّد دُلّني على معبودي .

فقال له أبو عبد الله عليه السلام : أجلس، فإذا غلامٌ صغيرٌ في كفّه بيضة يلعب بها، فقال أبو عبد الله عليه السلام : ناولني يا غلام البيضة، فناوله إيّاها، فقال أبو عبد الله عليه السلام :

يا ديصاني هذا حصنٌ مكنونٌ، له جلدٌ غليظٌ، وتحت الجلد الغليظ جلدٌ رقيق، وتحت الجلد الرقيق ذَهَبَةٌ مائعةٌ وفضّةٌ ذائبة، فلا الذهبة المائعة تختلط بالفضّة الذائبة، ولا الفضّة الذائبة تختلط بالذهبة المائعة، فهي على حالها، لم يخرج منها خارجٌ مصلحٌ فيخبر عن صلاحها، ولم يدخل فيها داخل مفسد فيخبر عن فسادها، لا يدرى للذكر خلقت أم للأنثى، تنفلق عن مثل ألوان الطواويس، أترى لها مدبّراً؟!

قال : فأطرق مليّاً، ثمّ قال : أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، وأنّك إمامٌ وحجّةٌ من الله على خلقه، وأنا تائبٌ ممّا كنت فيه[1].

---

(١) الكافي ج١ ص٨٠، التوحيد ص١٢٤ باب ٩ ح١، الاحتجاج ج٢ ص٧١، باب احتجاج الصادق عليه السلام .

٣- توحيد الله تعالى :

نعتقد بتوحيد الله تعالى من جميع الجهات كما تقدم، ولأجل التوضيح نذكر بعض مراتب التوحيد التي ذكرها العلماء وهي :

المرتبة الأولى : التوحيد في الذات :

وأطلق علماء الكلام هذا المصطلح على معنيين:

الأول : أن الله سبحانه وتعالى واحد في ذاته، أي ليس بجسم ولا مركب من أجزاء أياً كانت، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1].

والدليل عليه : أن أيَّ مركب يحتاج في وجوده إلى أجزاء وإلى من يركبها، والوجود المحتاج محال أن يعطي الوجود لنفسه فضلاً عن أن يعطيه لغيره والله هو الغني فلو قيل بأنه مركب لكان محتاجاً ومفتقراً إلى غيره وهو محال .

الثاني : أن الله سبحانه وتعالى واحد بمعنى لا ثاني له ولا شريك له، والأدلة عليه متعددة، ومنها ما يأتي من الدليل على المرتبتين الآتيتين .

وهذا التقسيم مأخوذ من سورة التوحيد فإن الآية الأولى

---

(١) سورة الشورى : ١١.

أعني قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ محمولة على المعنى الأول، والآية الأخيرة وهي قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ محمولة على المعنى الثاني حتى لا يلزم التكرار.

المرتبة الثانية: توحيد الخالقية:

والمراد به أنه ليس في الوجود خالق بذاته أصيل مستقل بالخلق ولا فاعل مستقل بالفعل إلا الله تعالى، وأما غيره من المؤثرات فهي غير مستقلة التأثير، بل تستمد قوتها منه تعالى.

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[1].

المرتبة الثالثة: توحيد الربوبية والتدبير:

ونقصد به أن الله سبحانه وتعالى هو المالك المدبر للكون بالاستقلال، وحده لا شريك له في ذلك من الملائكة، ولا من الإنس والجن، ولا من غيرهم، وأما تدبير الملائكة وسائر الأسباب فهو بأمر من الله تعالى وبإمداده، فليس تدبيرهم للأشياء عن استقلال منهم.

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم

---

(١) سورة الأنعام ١٠٢.

﴿ بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ﴾[(١)].

وإنما سمينا هذا النحو من التوحيد بتوحيد الربوبية لأن معنى الرب لغة هو المالك المدبر .

الدليل على توحيد الخالقية والربوبية :

من أحسن الأدلة على توحيد الربوبية قول الإمام الصادق عليه السلام في جوابه للزنديق : (فلما رأينا الخلق منتظماً ، والفلك جارياً ، واختلاف الليل والنهار والشمس والقمر ، دلّ صحة الأمر والتدبير، وائتلاف الأمر على أن المدبر واحد)[(٢)].

ويمكن صياغة الدليل على توحيد الله في الخالقية والربوبية بهذا البيان :

إنّ وحدة النظم في أجزاء العالم وفي كلّ العالم تثبت وحدة الناظم ؛ فإنّ التدقيق في النظم والتركيب لكلّ جزء من أجزاء كلّ واحد من جزئيات أنواع الكائنات، وارتباط أنواع الكائنات كلّ واحد بالآخر يكشف عن أنّ الجزء والكلّ مخلوقان لخالق واحد عليم قدير حكيم .

إنّ تركيب أجزاء شجرة، وأعضاء حيوان وقواه، وارتباط

---

(١) سورة الرعد : ٢.

(٢) التوحيد للشيخ الصدوق ص٢٤٤.

بعضها ببعض وارتباطها بالأرض والشمس، وارتباط المنظومة الشمسية بسائر المنظومات والمجرّات وبكلمة: إنّ تركيب الذرّة الواحدة من نواتها وما يدور حولها إلى تركيب الشمس والسيّارات والمجرّات، يكشف عن أنّ خالق الذرّة والمجرّة واحد ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[(١)].

المرتبة الرابعة : توحيد العبادة :

المراد بتوحيد العبادة هو حصر العبادة في الله وحده .

قال تعالى: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[(٢)].

ونحن نعتقد بتوحيد الله في العبادة فلا تجوز عبادة غيره بوجه من الوجوه، ولا إشراكه في العبادة في أي نوع من أنواع العبادة، ومن أشرك في العبادة غيره فهو مشرك وحكمه حكم من يعبد الأصنام والأوثان .

زيارة القبور ليست من العبادة لغير الله :

أما زيارة القبور وإقامة المآتم فليست هي من نوع التقرب إلى غير الله تعالى في العبادة، كما توهمه بعض من يريد

---

(١) سورة الزخرف : ٨٤ .

(٢) سورة يوسف : ٤٠.

الطعن في طريقة الإمامية، بل هي من نوع التقرب إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة كالتقرب إليه بعيادة المريض وتشييع الجنائز وزيارة الأخوان في الدين ومواساة الفقير، فإن عيادة المريض ـ مثلا ـ في نفسها عمل صالح يتقرب به العبد إلى الله تعالى، وليس هو تقربا إلى المريض يوجب أن يجعل عمله عبادة لغير الله تعالى أو الشرك في عبادته، وكذلك باقي أمثال هذه الأعمال الصالحة .

أما كون زيارة القبور وإقامة المآتم من الأعمال الصالحة الشرعية فذلك يثبت في علم الفقه وليس هنا موضع إثباته .

والغرض أن إقامة هذه الأعمال ليست من نوع الشرك في العبادة كما يتوهمه البعض، وليس المقصود منها عبادة الأئمة، وإنما المقصود منها إحياء أمرهم، وتجديد ذكرهم، وتعظيم شعائر الله فيهم ، ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾[1].

فكل هذه أعمال صالحة ثبت من الشرع استحبابها، فإذا جاء الإنسان متقربا بها إلى الله تعالى طالبا مرضاته، استحق الثواب منه ونال جزاءه .

---

(١) سورة الحج : ٣٢ .

وبما أن الموضوع مهم جداً فلا بأس بالتوسع فيه فنقول :

قد اتفق المسلمون قاطبة على ضرورة توحيد الله تعالى في العبادة ، فلا تجد مسلماً يؤمن بالله تعالى وما جاء به الرسول ﷺ يشرك بعبادة ربه أحداً ، يقول العلامة الشيخ محمد جواد البلاغي: (اعلم أنّ من ضروريّات الدين، والمتّفق عليه بين جميع طبقات المسلمين، بل من أعظم أركان أصول الدين : اختصاص العبادة بالله رب العالمين . فلا يستحقّها غيره، ولا يجوز إيقاعها لغيره، ومن عبد غيره فهو كافرٌ مشرك، سواءً عَبَدَ الأصنامَ، أو عبد أشرف الملائكة، أو أفضل الأنام . وهذا لا يرتاب فيه أحدٌ ممّن عرف دين الإسلام.

وكيف يرتاب؟! وهو يقرأ في كل يوم عشر مرات : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[1] إلى آخر ما ذكر..)[2].

هذا هو رأي الشيعة الإمامية وهو رأي بقية المسلمين، وهذا أمر يتوصل له الإنسان بفطرته، فإن الإنسان عندما يعتقد بوجود الله وأنه الخالق له والمدبر للكون بأكمله وأنه القاهر فوق عباده، وجميع الخلق مقهورون له، فهو بالتالي سيعتقد

---

(١) سورة الفاتحة : ٥.

(٢) الرد على الوهابية ص ٤٧ وما بعدها.

بأنه لا يستحق العبادة غيره، لأن الجميع مفتقر إليه وهو الغني عن عباده .

نعم وقع الاختلاف بين عامة المسلمين من جهة، وبين أتباع ابن تيمية من جهة أخرى في عدّ بعض الأعمال عبادة لغير الله، كالاستغاثة والحلف بغير الله والتوسل بالأولياء والصالحين وزيارة قبورهم والدعاء عندهم وغير ذلك، فذهب المسلمون قاطبة إلى عدم كون تلك الأمور من العبادة في شيء، وذهب أتباع ابن تيمية إلى كونها عبادة لغير الله، وبهذه الجهة اتهموا المسلمين بالشرك في العبادة .

وبما أن البحث في ذلك طويل ومهم ولا يسعنا التعرض لجميع أبحاثه فنقتصر على النقطة المهمة في البحث وهي الحكم الفصل بين المتخالفين بدون حاجة إلى التوسع في النقاط فنقول :

محور البحث يتمركز في معنى العبادة، فقد عرّف ابن تيمية وأتباعه كمحمد بن عبد الوهاب العبادة بتعريف غير صحيح، وعلى ضوء تعريفهم اعتبروا هذه الأمور من الشرك في العبادة، فقالوا في تعريفها :

إن العبادة : هي غاية الذل والخضوع لله مع غاية حبه،

وقالوا في بعض عباراتهم : إن العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه[1].

ولما عرفوا العبادة بهذا التعريف اعتبروا التذلل والخضوع لغير الله عبادة له، فقالوا بأن تقبيل الأضرحة وزيارتها والتبرك بها و.. و.. شرك .

وهذا التعريف باطل ويلزم منه لوازم لا يلتزم بها منها :

١- خروج كل المسلمين عن الإسلام بما فيهم ابن تيمية وأتباعه أنفسهم، لأن الولد يخضع لوالديه، والجندي لقائده، والتلميذ لأستاذه، والمرؤوس لرئيسه، والمملوك لمليكه، والصديق لصديقه، والحبيب لحبيبه، والزوجة لزوجها والبنت لأمها وهكذا..، فيلزم أن يكون كل هؤلاء قد عبدوا من خضعوا لهم إذا كانوا يحبونهم .

٢- يلزم أن لا تكون صلاة أكثر الناس عبادة ؛ لأنها لا تشتمل في كثير من الأحيان على غاية التذلل والخضوع .

٣- يلزم أن يكون سجود الملائكة لآدم عليه السلام عبادة له، وسجود النبي يعقوب عليه السلام وأولاده للنبي يوسف عليه السلام عبادة له،

---

(١) راجع مجموع الفتاوى لابن تيمية ج١٠ ص١٤٩، وعقيدة التوحيد ص٦٥ للفوزان .

لأن السجود غاية التذلل والخضوع .

ولا يمكن للمسلم أن يقول بأن جميع هذه الأمور عبادة .

فالتعريف الصحيح للعبادة هي : الخضوع لمن يعتقد بأنه إله أو رب أو مالك للتصرف في أمر من أموره مستقلاً عن الله تعالى .

وهذا المعنى هو الذي كان يعتقد به أهل الجاهلية ، وكانوا يخضعون إلى أصنامهم بهذا الاعتبار ؛ حيث قال عنهم الله تعالى :﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾[1].

ولهذا صرحوا بعبادتهم لهم كما في قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾[2].

فكل من خضع لأحد بهذا الاعتقاد وبهذا القصد فهو مشرك، وأما الخضوع لغير الله بدون هذا الاعتقاد فليس من الشرك في شيء، وبهذا يخرج كل ما اعتبروه شركاً عن دائرة العبادة لغير الله، فالاستعانة بغير الله، ومناداته، ودعاؤه، ليست عبادة حتى تكون شركاً إذا كانت باعتقاد

---

(١) سورة الحجر ٩٤ ـ ٩٦.

(٢) سورة الزمر : ٣ .

أن المستعان به عبد من عباد الله قد أعطاه الله القدرة على قضاء الحاجة المطلوبة، ولا يمكنه القيام بها مستقلاً عن الله تعالى، ولهذا لا يشرك الإنسان لأنه غرق في البحر وطلب المعونة من الواقف أمام الشاطئ ودعاه بقوله: يا فلان أنقذني.

ونوضح هذا المعنى أكثر فنقول : إن أعمال العباد تدور مدار النية والقصد، فإذا جاء رجل إلى المجلس وكان غاصاً بالناس فقمت من مكانك وكانت نيتك تخلية المكان له ليجلس فيه عُدَّ ذلك احتراماً له، وإذا كانت نيتك أنك لا تريد مجالسته عُدَّ ذلك إساءة وإهانة، والفعل هو نفس الفعل ولم يختلف عنه إلا بالنية .

وإذا ضربت الطفل الصغير تأديباً له كان فعلاً حسناً، وإذا ضربته تشفياً وانتقاماً من والده كان ذلك قبيحاً، وهكذا..

ومثله لو تبركت بضريح النبي ﷺ أو الإمام عليه السلام فإنك لو فعلت ذلك باعتقاد أنه إله أو رب أو له التصرف المستقل عن الله فهو عبادة، وأما إذا كنت تقصد التبرك به لكونه عبداً من عباد الله الصالحين المكرمين فليس ذلك عبادة له ؛ لفقد هذا العمل العنصر المقوم للعبادة وهو أن يُؤتى بالفعل بقصد أنه إله أو رب أو يقوم بالعمل مستقلاً عن الله تعالى، وهكذا

سائر الأفعال التي يقال عنها عبادة .

ونتيجة البحث : أنك إذا عرفت أن مقوّم العبادة عبارة عن اعتقاد السائل والخاضع والداعي أو المنادي بأن المسؤول والمخضوع له (إله) و (رب) يملك شيئاً مما يرجع إلى العبد في عاجله أو آجله، وإنه يقوم بذلك لكونه خالقاً أو مفوَّضاً إليه من قبل الخالق بمعنى أن يقوم بالعمل على وجه الاستقلال والأصالة، تستطيع أن تقضي في الأعمال التي يقوم بها المسلمون بأنها ليست عبادة أبداً، وإنما هي من أفراد التكريم والاحترام وإن بلغت نهاية التذلل، لأنها لا تنطلق من اعتقاد الخاضع بألوهية النبي، ولا ربوبيته، ولم يقصد بها العبادة، بل تنطلق عن الاعتقاد بكونه عبداً من عباد الله الصالحين، ومن عباده المكرمين الذين لا يعصون الله ما أمرهم وهم بأمره يعملون، وتطبيق ذلك :

١- تقبيل الأضرحة وأبواب المشاهد التي تضم أجساد الأنبياء والأولياء، فإن ذلك ليس عبادة لصاحب القبر والمشهد، لفقدان عنصر العبادة فيما يفعله الإنسان من التقبيل واللمس وما شابه ذلك .

٢- إقامة الصلاة في مشاهد الأولياء تبركاً بالأرض التي تضمنت جسد النبي أو الإمام، كما يتبرك بالصلاة عند مقام

إبراهيم اتباعاً لقوله تعالى : ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾[1] .

٣- التوسل بالنبي ﷺ سواء كان توسلا بذاته وشخصه، أو بمقامه وشخصيته أو بدعائه في حال حياته ومماته، فإن ذلك كله لا يكون عبادة، لعدم الاعتقاد بألوهية النبي ولا ربوبيته، ويعد من التوسل بالأسباب .

وإذا قال القائل : هم غير قادرين على فعل شيء حال الممات. نقول له :

أولاً : إنهم أحياء عند ربهم يرزقون، وأن الله تعالى أعطاهم القدرة على ذلك بفضله ومنّه ؛ لكونهم عباداً مكرمين.

وثانياً : لو افترضنا جدلاً أن الأنبياء والأئمة في حال الممات غير قادرين على شيء فالدعاء والتوسل بهم مع كونهم عاجزين لا يجعل العمل شركاً، بل يجعله لغواً لا فائدة فيه، وكلامنا معكم الآن لأنكم تدعون كونه شركاً .

٤- طلب الشفاعة من الأنبياء عليهم السلام أو النبي الأكرم ﷺ ليس شركاً، لأنه يطلبها منه بقيد أنه عبد مأذون وله مقام الشفاعة، ومن يطلبها منه يعتقد بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا

(١) سورة البقرة : ١٢٥ .

مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[1].

٥- الاستغاثة بالأرواح المقدسة كالاستغاثة بهم في حال حياتهم، فلو استغاث العبد بالولي بما أنه عبد أقدره الله تعالى على الإجابة حياً وميتاً، يكون من قبيل التوسل بالأسباب، وإن استغاث به بما أنه إله أو رب يقوم بالاستغاثة أصالة واستقلالا، وأنه فوض إليه حياة المستغيث عاجلا وآجلا، فهو شرك من غير فرق بين حالتي الحياة والممات.

هذا خلاصة البحث حول حصر العبادة بالله سبحانه، وإذا أمعنت فيما ذكرنا يمكنك الإجابة على كل ما أثاره أتباع ابن تيمية.

ولهذا نرى أن إمام الحنابلة ـ الذي هو إمام محمد بن عبدالوهاب وأتباعه ـ أحمد بن حنبل أفتى بجواز مس منبر النبي ﷺ والتبرك به وبقبره وتقبيلهما عندما سأله ولده عبد الله بن أحمد، وقال: سألته عن الرجل يمس منبر النبي ﷺ ويتبرك بمسه، ويقبله، ويفعل بالقبر مثل ذلك، يريد بذلك التقرب إلى الله ﷻ، فقال: (لا بأس بذلك)[2].

---

(١) سورة يونس: ٣.

(٢) كتاب العلل ومعرفة الرجال ٢: ٤٩٢، تحقيق: د. وصي الله عباس، ط بيروت ١٤٠٨هـ.

وهناك روايات وآثار في كتب أهل السنة تثبت جواز ذلك منها :

١- ما نقله ابن حجر العسقلاني وهو من أكابر علماء العامة : (وروى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح من رواية أبي صالح السمان عن مالك الدار وكان خازن عمر قال : أصاب الناس قحط في زمن عمر فجاء رجل إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا فأتي الرجل في المنام فقيل له : ائت عمر فأقرئه السلام وأخبره أنكم مسقيون.. الحديث) [1].

٢- ما رواه الدارمي في (سننه) بإسناده عن أبي الجوزاء، قال: (قحط أهلُ المدينة قحطاً شديداً ، فشكوا إلى عائشة فقالت فانظروا قبر النّبيّ ﷺ ، واجعلوا منه كُوّةً إلى السّماء حتى لا يكون بينه وبين السّماء سقف. ففعلوا ، فمطروا حتى نبت العُشبُ وسمنت الإبلُ حتى تفتّقت من الشّحم، فسُمّي عام الفتق) [2].

وهناك روايات وأدلة أخرى تدل على المدعى ولكن

(١) فتح الباري ج٢ ص٤٩٥ .

(٢) سنن الدارمي ج١ ص٤٣ (باب ما أكرم الله تعالى نبيه صلى الله عليه [وآله] وسلم بعد موته).

نكتفي بهذا المقدار وإنما اخترنا هذين الأثرين لكونهما من التوسل بالنبي ﷺ وشخصه غير حاضر في الأحياء .

٤- صفات الله تعالى :

نعتقد بأن صفات الله تعالى على قسمين :

القسم الأول : صفات الذات :

وهي قسمان أيضاً : الصفات الثبوتية وهي التي تسمى صفات الكمال والجمال كالعلم والقدرة والغنى والحياة، وهذه الصفات عين الذات وليست زائدة عليها .

وصفات سلبية أي ليس بجسم ولا مركب ولا شيء من صفات النقص، وتسمى صفات الجلال .

ومرادنا من أن الصفات عين الذات إنما هو بملاحظة الوجود الخارجي، لا بملاحظة عالم المعاني والمفاهيم، فإن معنى عالم يغاير معنى قادر ولا إشكال في ذلك ولا كلام، ولكن في الواقع الخارجي إن العلم والقدرة وغيرهما من صفات الذات هي عين ذاته تعالى أي ليست أموراً زائدة عليها خارجة عنها وقد اتصفت بها كما يقول الأشاعرة ؛ إذ يلزم من قولهم ذلك محاذير منها :

أولاً : التركيب ؛ لكون الصفة غير الموصوف فتكون

الذات الإلهية مركبة من ذات وصفة وهو محال على الله كما تقدم .

وثانياً : أن تكون هذه الصفات قديمة ؛ لاتصاف الذات بها منذ الأزل، فيلزم تعدد القدماء، أي لا ينحصر القديم منذ الأزل في الله تعالى وهو باطل كما هو مقرر في محله .

فنحن نعتقد بأن الله تعالى عالم وعلمه عين ذاته وليس علمه أمراً زائداً على ذاته، ونعتقد بأنه قادر وقدرته عين ذاته، فالله علم كله وقدرة كله، ولا تعقل الاثنينية في حقه تعالى، فينتزع من الذات الواحدة البسيطة من جميع الجهات صفة العلم والقدرة وو..، فلم نلغ صفة العلم أو القدرة أو غيرهما عنه كما ذهب إليه بعض المسلمين فراراً من التركيب، في حين لم نثبت التركيب له كما ذهب آخرون، وهذه من المسائل الدقيقة المعقدة ومن مميزات وإبداعات الفكر الإمامي التابع لأهل البيت عليهم السلام ، وبما أن فكر عامة الناس مأنوس بالمحسوسات فخذ الشمس مثالاً حسياً للتوضيح والتقريب، فإنها مضيئة كلها وحارة كلها، فهي حارة من حيث إنها مضيئة، ومضيئة من حيث إنها حارة، وحرارتها وإضائتها عين ذاتها، فأنت إذا رأيت الشمس في الواقع الخارجي تراها واحدة لا تعدد فيها ولكنك تنتزع منها

مفاهيم ثلاثة فتشير إليها وتقول : هذه شمس، مضيئة، حارة، فالحرارة والإضاءة وصفان ذاتيان للشمس وهما عينها فلم تلغ كونهما صفتين ولم تثبت التركيب، وكذلك الحال في النار فإنها حارة كلها ومضيئة كلها، ومحرقة كلها، وحرارتها عين إضائتها وعين كونها محرقة، وحرارتها عين ذاتها أي عين كونها ناراً فتصف النار بكونها حارة مضيئة محرقة ولكن بدون تركيب .

القسم الثاني : صفات الفعل :

كالخالقية والرازقية، وهي المنتزعة من مقام الفعل، بمعنى أننا بعد ملاحظة الباري ﷻ وملاحظة أنه خلق الخلق وأوجدهم نقول عنه تعالى : خالق، وبملاحظة أنه رزق الخلق نقول : رازق أو رزاق.

ويمكن التفريق بين القسمين ـ أعني صفات الذات وصفات الفعل ـ بأن القسم الأول لا يصح سلبه عن ذات الباري تعالى بأي وجه من الوجوه فنقول : الله عالم، ولا يصح أن تقول : الله ليس بعالم، في أي حال من الأحوال .

وأما صفات الفعل فيصح أن تسلبها عنه تعالى في بعض الأحوال أو عن بعض الأمور فتقول : خلق الله بحراً من ماء

ولم يخلق بحراً من زئبق، أو رزق الله زيداً ولم يرزق عمراً .

الصفات الخبرية :

قال بعض المسلمين بأن لله تعالى صفات اسمها (الصفات الخبرية)، ويعنون بها مثل اليد والرجل والعين والاستواء على العرش و..

وسبب تسميتها بالصفات الخبرية ـ مع أنها ليست صفات حقيقة ـ أن الله تعالى أخبر بها عن نفسه في الآيات، وأخبر عنها رسوله ﷺ في الروايات كقوله تعالى : ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴾ [١].

فهم يثبتون هذه الأمور إلى الله تعالى بنحو الحقيقة ويضيفون تارة عبارة (بلا تشبيه ولا تكييف) أي له عين لا تشبه عيون الخلق، ولا يقال عنها كيف هي، ويضيفون تارة أخرى عبارة (تليق بجلاله) .

ودليلهم على ذلك هو أن الله تعالى أثبت هذه الأمور لنفسه في ظاهر كتابه وهو أعرف بذاته .

مناقشة الصفات الخبرية :

بما أنهم يستندون في كلامهم إلى دعوى ظهور الآيات

---

(١) سورة ص : ٧٥ .

والأحاديث فهنا يأتي سؤال :

هل أن دعوى ظهور الآيات والأحاديث في إثبات الرجل والعين واليد بمعانيها الحقيقية إلى الله دعوى صحيحة أو باطلة ؟

نقول في الإجابة على هذا السؤال : إن دعوى هذا الظهور دعوى باطلة، ودليلنا على ذلك يتضح بتقديم مقدمتين :

المقدمة الأولى : الحقيقة والمجاز في اللغة :

إن من البديهيات التي لا تقبل الشك والغلط وجود الحقيقة والمجاز في جميع لغات العالم، ويعتبر الاستعمال المجازي من محاسن اللغة الحية، بل من محاسن المتكلم البليغ، وبه يتنافس البلغاء والشعراء والخطباء والكتاب، ومشى القرآن الكريم على طبق هذه القاعدة العامة فأخرس بلغاء العربية في ما يحسنون، كما تدل على ذلك الآيات الكثيرة التي لا تتحمل الحمل على المعنى الحقيقي للكلمة، وهو الذي عليه علماء الخاصة والعامة، وبه كانوا يستشهدون، وأقتصر في دعواي على شاهدين من كلمات علماء السنة :

الشاهد الأول : ما في اللمع في أصول الفقه :

(٥- باب في الحقيقة والمجاز .

والكلام المفيد ينقسم إلى حقيقة ومجاز وقد وردت اللغة بالجميع ونزل به القرآن، ومن الناس من أنكر المجاز في اللغة، وقال ابن داود : ليس في القرآن مجاز، وهذا خطأ ؛ لقوله تعالى : ﴿ جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ ﴾[1]، ونحن نعلم ضرورة أنه لا إرادة للجدار، وقال تعالى : ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾[2]، ونحن نعلم ضرورة أن القرية لا تخاطب فدل على أنه مجاز)[3].

الشاهد الثاني : ما في مختصر المعاني وهو يعدد شواهد من المجاز المرسل :

(تسمية الشيء باسم الشيء الذي كان هو عليه في الزمان الماضي لكنه ليس عليه الآن نحو قوله تعالى : ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾[4]، أي الذين كانوا يتامى قبل ذلك إذ لا يتم بعد البلوغ، أو تسمية الشيء باسم (ما يؤول) ذلك الشيء (إليه) في الزمان المستقبل نحو : ﴿ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾[5]، أي عصيراً

---

(١) سورة الكهف : ٧٧ .

(٢) سورة يوسف : ٨٢ .

(٣) اللمع في أصول الفقه ، ص٥٨ ، لأبي إسحاق الشيرازي المتوفى ٤٧٦هـ .

(٤) سورة النساء : ٢ .

(٥) سورة يوسف : ٣٦ .

يؤول إلى الخمر، (أو) تسمية الشيء باسم (محله نحو : ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴾[١]) أي أهل ناديه الحال فيه، والنادي المجلس، (أو) تسمية الشيء باسم (حاله) أي باسم ما يحل في ذلك الشيء (نحو و﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾[٢]، أي في الجنة) التي تحل فيها الرحمة (أو) تسمية الشيء باسم (آلته نحو : ﴿ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْآخِرِينَ ﴾[٣])، أي ذكراً حسناً) واللسان اسم لآلة الذِكْر)[٤].

وبهذا يتضح بطلان ما ذهب إليه ابن باز تبعاً لابن تيمية، حيث قال الأول في فتاويه : (الصحيح الذي عليه المحققون (!؟) أنه ليس في القرآن مجاز على الحد الذي يعرفه أصحاب فن البلاغة، وكل ما فيه فهو حقيقة في محله)[٥].

وقال الباحث المعاصر السقاف في كتاب الصحيح في شرح العقيدة الطحاوية : ثم اعلم بأن من نهج السلف الصالح إثبات المجاز في اللغة ولا أظن أن عاقلا يشك في ذلك، فهذا الإمام

---

(١) سورة العلق : ١٧ .

(٢) سورة آل عمران : ١٠٧ .

(٣) سورة الشعراء : ٨٤ .

(٤) مختصر المعاني ص٢٢٠ لسعد الدين التفتازاني .

(٥) فتاوى ابن باز ٤ : ٣٨٢ .

أحمد يثبت المجاز ويقول في بعض الأمور : هذا من مجاز اللغة كما اعترف بذلك ابن تيمية في كتابه الإيمان، ص ٨٥)[1].

وقد صنف أبو عبيدة معمر بن المثنى المولود في مطلع القرن الثاني هجري كتاباً سمّاه (مجاز القرآن) كما قال ذلك ابن النديم في الفهرست والذهبي في سيره)[2].

وصنف أيضاً (مجاز القرآن) ابن عبد السلام عبد العزيز سلطان العلماء المصري الشافعي الدمشقي المتوفى سنة ستين وستمائة كما نقل صاحب كشف الظنون وقال : اختصره جلال الدين السيوطي وسماه مجاز الفرسان إلى مجاز القرآن كتب منه يسيراً)[3].

ثم إن المراد من المعنى الحقيقي هو استعمال اللفظ في ما وضع له، والمراد من المعنى المجازي هو استعمال اللفظ في غير ما وضع له فالأول كاستعمال لفظ الأسد في الحيوان المفترس، والثاني كاستعماله في الرجل الشجاع .

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٦٥ .

(٢) الفهرست لابن النديم ١ : ٧٩، سير أعلام النبلاء ٩ : ٤٤٦، وقد عبر عنه في ترجمته له: (أبو عبيدة الإمام العلامة البحر أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي مولاهم البصري النحوي صاحب التصانيف).

(٣) كشف الظنون ٢ : ١٥٩٠ .

المقدمة الثانية : في ظهور الكلام :

عندنا في الكلام العربي ظهوران للكلمة :

١- ظهور للمفرد عندما يتلفظ به لوحده كظهور كلمة البحر في هذا المعنى الذي نعرفه، وظهور كلمة الماء في السائل المعين، وظهور كلمة اليد في الجارحة المعروفة .

وبعبارة جامعة : ظهور الكلمة في معناها الحقيقي الذي وضعت له في اللغة .

٢- ظهور للمفرد وهو في سياق الجملة، وهو يتفق ـ أحياناً ـ مع ظهور المفرد لوحده، ويختلف معه أحياناً أخرى، أي يرجع تحديده إلى القرائن المحتفة بالكلام فكلمة البحر في جملة: (ذهبت إلى البحر وسبحت فيه) تتفق في ظهورها مع كلمة (البحر) لوحدها، أي أن ظاهر كلمة البحر في هذه الجملة هو نفس ظاهر كلمة البحر لوحدها وهو المعنى الحقيقي للفظ البحر.

وكلمة البحر في جملة : (ذهبت إلى البحر ونهلت من علمه) ظاهرة في العالم، ولا يستفيد أي عربي من هذه الجملة المعنى الحقيقي لكلمة البحر، ولا يمكن للعربي الفصيح أن يقول : إن ظاهر كلمة البحر هنا هي المعنى المعروف ولكن نأوّل ذلك ونقول المراد بها هنا هي العالم .

وهكذا عندما نسمع قائلاً يقول : رأيت أسداً يحمل سيفاً ، فإن العربي يرى أن الظاهر من كلمة أسد في هذه الجملة هو الرجل الشجاع .

وعندما نسمع رجلاً يقول : (أكلت الخبز) لا يتوهم أحد أن مراده أكل خبز الدنيا ، بل مراده الخبز الموجود عنده فقط بمقتضى القرينة العقلية . وهكذا..

فالنتيجة التي نحصل عليها هي : أن ظهور الكلمة في معنى يتبع سياق الكلام بعد أن ينتهي المتكلم من تمام كلامه بما في ذلك القرائن المتصلة ، وليس الظهور معنى يساوي المعنى الحقيقي، فربما يكون ظاهر الكلام هو المعنى الحقيقي للكلام، وربما يكون هو المعنى المجازي، فظاهر كلمة البحر في مثال (ذهبت إلى البحر ونهلت من علمه) هو العالم مع أن المعنى مجازي.

إذا عرفنا هذا فنقول : إن إثبات اليد والرجل والعين والجلوس وجهة العلو.. بمعانيها الحقيقية إلى الله تعالى يستلزم التجسيم، لأن الذات المركبة من يد ورجل وعين وو.. هي ذات مركبة حتى لو أضيفت جملة تليق بجلاله أو من غير تشبيه ولا تكييف، ويستحيل عقلاً أن يكون الله تعالى جسماً مركباً ؛ لأن التركيب علامة الحاجة إلى الأجزاء وإلى

المركّب والله هو الغني المطلق، فهذه القرينة العقلية تمنع أن يكون المراد من هذه الألفاظ ـ في حق الله تعالى ـ هي المعاني الحقيقية لها .

ومع هذه القرينة العقلية الواضحة نقرر هذه القاعدة :

(إن الكلمة التي تستلزم التجسيم وتضاف إلى الله تعالى لا يراد معناها الحقيقي).

وكتطبيق لهذه القاعدة نقول : إن كلمة (بيدي) في قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ ﴾[1]، ليست ظاهرة في اليد الجارحة ؛ لأنها تستلزم التجسيم، فيكون المراد منها معنى آخر مثل : لِمَ لَمْ تسجد لمن تولّيت خلقه .

وهكذا كل لفظة من هذا القبيل كالرجل والعين والوجه، ويؤكد ما نقوله إضافة اليدين إلى الرحمة والعذاب في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ ﴾[2].

وقوله : ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ ﴾[3]، مع أنه لا يوجد عاقل في الدنيا يقول : بأن للرحمة والعذاب يدين

---

(١) سورة ص : ٧٥ .

(٢) سورة الأعراف : ٥٧ .

(٣) سورة سبأ : ٤٦ .

حقيقيتين .

وكذلك إضافة اليدين إلى القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ لَا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[١] ، مع أنه ليس للقرآن يدان ؟!

ونتوسع في مناقشة هذا الرأي ونقول: إن الاعتقاد بالصفات الخبرية بالمعنى المتقدم عند القائلين بها يستلزم أموراً عظيمة لا يلتزم بها المسلم، منها أن يهلك جسم الله تعالى ويبقى وجهه فقط، لأن الله تعالى يقول: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾[٢] ، وقال: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾[٣] ، ومعنى ذلك ـ حسب طريقة تفكيرهم في فهم النصوص ـ أن لله بدناً مركباً من الرجلين واليدين والعينين وو..، والآيتان تقرران هلاك كل من في الوجود ما عدا وجه الله، فيشمل الهلاك بقية أعضائه، ولا يمكن لمسلم أن يتفوه بهذا الكلام السخيف .

فالنتيجة : أن القول بإثبات الصفات الخبرية لله تعالى بمعناها الحقيقي مساوق للقول بالتجسيم فيكون باطلاً .

---

(١) سورة فصلت : ٤٢ .

(٢) سورة القصص : ٨٨ .

(٣) سورة الرحمن : ٢٦ ـ ٢٧ .

الفصل الثاني : العدل

نعتقد أن من صفاته تعالى الثبوتية الكمالية أنه عادل غير ظالم، فلا يجور في قضائه ولا يحيف في حكمه، يثيب المطيعين، وله أن يجازي العاصين، ولا يكلف عباده ما لا يطيقون ولا يعاقبهم زيادة على ما يستحقون .

والأدلة على عدله تعالى كثيرة منها :

الدليل الأول :

كلّ إنسان - ولو لم يكن ملتزماً بدين - يدرك بفطرته حسن العدل وقبح الظلم، حتّى أنّ الظالم إذا وصفوه بأنه ظالم يتأذّى وينفر، وإذا وصفوه بأنه عادل يبتهج ويفرح .

ولو أنّ ظالماً مجرماً - يصرف كلّ همّه تبعاً لشهوته وغضبه للوصول إلى مآربه النفسانية - قُدّم إلى محكمة، فقضى له القاضي بغير الحقّ، طمعاً في ماله أو خوفاً من سطوته، فإنه سيفرح بحكم القاضي، لكن عقله وفطرته يحكمان بقبح الحكم ودناءة نفس القاضي!

وعلى العكس من ذلك، إذا حاكمه قاض ولم يبال بمال الظالم وجاهه، وحكم عليه بالعدل، فإنّ الظالم سيغضب عليه، ولكن فطرته تجعله ينظر إلى ذلك القاضي وقضاوته باحترام وتحسين.

فإذا كانت هذه حال الإنسان، فكيف يمكن أن يكون الله سبحانه ظالماً في ملكه وحكمه، وهو الذي جعل حسن العدل وقبح الظلم في فطرته، وأراد من الإنسان أن يتحلّى بحلية العدل ويتجنّب عن لوث الظلم، وأمر بالعدل بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ ﴾[1].

الدليل الثاني:

إن الظلم ينشأ من أحد أمور ثلاثة كلها مستحيلة على الله تعالى: الجهل، والعجز، والعبث، أي أن الظالم حينما يظلم إما أن يصدر الظلم منه لجهله بكون ما يأتي به ظلماً، وإما لأنه عاجز عن تحقيق أهدافه إلا عن طريق الظلم، وإما لأجل التلهي والعبث، والله سبحانه وتعالى هو العالم المطلق، والقادر المطلق، والغني المطلق، والحكيم المطلق فيستحيل صدور الظلم منه لاستحالة منشأ الظلم عليه.

---

(١) سورة النحل: ٩٠.

الفصل الثالث النبوة

١- معنى النبوة :

نعتقد أن النبوة وظيفة إلهية وسفارة ربانية، يجعلها الله تعالى لمن ينتجبه ويختاره من عباده الصالحين وأوليائه الكاملين في إنسانيتهم فيرسلهم إلى سائر الناس لغاية إرشادهم إلى ما فيه منافعهم ومصالحهم في الدنيا والآخرة، ولغرض تنزيههم وتزكيتهم من درن مساوئ الأخلاق ومفاسد العادات، وتعليمهم الحكمة والمعرفة وبيان طرق السعادة والخير، لتبلغ الإنسانية كمالها اللائق بها، فترتفع إلى درجاتها الرفيعة في الدارين دار الدنيا ودار الآخرة .

كما نعتقد أنه تعالى لم يجعل للناس حق تعيين النبي أو ترشيحه أو انتخابه وليس لهم الخيرة في ذلك، بل أمر كل ذلك بيده تعالى لأنه ﴿أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[1]. وليس لهم أن يتحكموا فيمن يرسله هاديا ومبشرا ونذيرا ولا أن يتحكموا

---

(١) سورة الأنعام : ١٢٤.

فيما جاء به من أحكام وسنن وشريعة .

٢- معجزة الأنبياء :

نعتقد أنه تعالى إذ ينصب لخلقه هاديا ورسولا لابدّ أن يعرفهم بشخصه ويرشدهم إليه بالخصوص على وجه التعيين، وذلك منحصر بأن ينصب على رسالته دليلا وحجة يقيمها لهم، وذلك الدليل لا بد أن يكون من نوع لا يصدر إلا من خالق الكائنات ومدبر الموجودات (أي فوق مستوى مقدور البشر) فيجريه على يدي ذلك الرسول الهادي ليكون معرفا به ومرشدا إليه . وذلك الدليل هو المسمى بـ(المعجز أو المعجزة) لأنه يكون على وجه يعجز البشر عن مجاراته والإتيان بمثله .

وكما أنه لا بد للنبي من معجزة يظهر بها للناس لإقامة الحجة عليهم فلابد أن تكون تلك المعجزة ظاهرة الإعجاز بين الناس على وجه يعجز عنها العلماء وأهل الفن في وقته فضلا عن غيرهم من سائر الناس مع اقتران تلك المعجزة بدعوى النبوة منه لتكون دليلا على مدعاه وحجة بين يديه . فإذا عجز عنها أمثال أولئك علم أنها فوق مقدور البشر وخارقة للعادة، فيعلم أن صاحبها فوق مستوى البشر بما له من ذلك الاتصال الروحي بمدبر الكائنات .

٣- عصمة الأنبياء :

نعتقد أن الأنبياء معصومون قاطبة ، وكذلك الأئمة ، عليهم جميعا التحيات الزاكيات ، وخالفنا في ذلك بعض المسلمين، فلم يوجبوا العصمة في الأنبياء فضلا عن الأئمة .

والعصمة : لطف يفعله الله تعالى بالعبد المصطفى، وهي تقتضي أن يكون المعصوم منزهاً عن الذنوب والمعاصي صغائرها وكبائرها ، وعن صدور الخطأ والنسيان، بل يجب أن يكون منزهاً حتى عما ينافي المروة، كالتبذل بين الناس من أكل في الطريق أو ضحك عال، وكل عمل يستهجن فعله عند العرف العام، وترك ذلك يكون بمحض اختياره وإرادته.

والدليل على وجوب العصمة : أنه لو جاز أن يفعل النبي المعصية أو يخطأ وينسى، وصدر منه شيء من هذا القبيل، فإما أن يجب اتباعه في فعله الصادر منه عصيانا أو خطأ أو لا يجب، فإن وجب اتباعه فقد جوزنا فعل المعاصي برخصة من الله تعالى بل أوجبنا ذلك، وهذا باطل بضرورة الدين والعقل، وإن لم يجب اتباعه فذلك ينافي النبوة التي لا بد أن تقترن بوجوب الطاعة أبداً . على أن كل شيء يقع منه من فعل أو قول فنحن نحتمل فيه المعصية أو الخطأ فلا يجب اتباعه في

شيء من الأشياء فتذهب فائدة البعثة .

وهذا الدليل على العصمة يجري عينا في الإمام، لأن المفروض فيه أنه منصوب من الله تعالى لهداية البشر خليفة للنبي، على ما سيأتي في فصل الإمامة .

٤- صفات النبي :

نعتقد أن النبي كما يجب أن يكون معصوما يجب أن يكون متصفا بأكمل الصفات الخلقية والعقلية وأفضلها، من نحو الشجاعة والسياسة والتدبير والصبر والفطنة والذكاء، حتى لا يدانيه بشر سواه فيها، لأنه لولا ذلك لما صح أن تكون له الرئاسة العامة على جميع الخلق ولا قوة إدارة العالم كله . كما يجب أن يكون طاهر المولد، أمينا صادقا منزها عن الرذائل قبل بعثته أيضا، لكي تطمئن إليه القلوب وتركن إليه النفوس، بل لكي يستحق هذا المقام الإلهي العظيم .

٥- عقيدتنا في الإسلام :

نعتقد أن الدين عند الله الإسلام، وهو الشريعة الإلهية الحقة، خاتمة الشرايع وأكملها، وأجمعها لمصالحهم الدينية والدنيوية، وصالحة للبقاء مدى الدهور لا تتغير ولا تتبدل، وجامعة لجميع ما يحتاجه البشر من النظم الفردية

والاجتماعية والسياسية .

٦- عقيدتنا في مشرع الإسلام :

نعتقد أن نبي الإسلام هو محمد بن عبد الله وهو خاتم النبيين وسيد المرسلين وأفضلهم على الإطلاق، كما أنه سيد البشر جميعا لا يوازيه أحد في فضل ولا مكرمة، ولا عقل، ولا خلق، وأنه لعلى خلق عظيم . ذلك من أول نشأة البشر إلى يوم القيامة .

٧- عقيدتنا في القرآن الكريم :

نعتقد أن (القرآن) هو الوحي الإلهي المنزل من الله تعالى على لسان نبيه الأكرم فيه تبيان كل شيء، وهو معجزته الخالدة التي أعجزت البشر عن مجاراتها في البلاغة والفصاحة وفيما احتوى من حقائق ومعارف عالية، لا يعتريه التبديل والتغيير والتحريف، وهذا الذي بين أيدينا هو نفس القرآن المنزل على النبي، ومن ادعى فيه غير ذلك فهو مخترق أو مغالط أو مشتبه، فإنه كلام الله الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾[١].

(١) سورة فصلت : ٤٢ .

٨- عقيدتنا في السنة النبوية :

نعتقد بحجية سنة الرسول ﷺ وهي قوله وفعله وتقريره، وأنها مصدر من مصادر التشريع الإسلامي، وأنه لولاها لما اتضحت معالم الإسلام، ولتعطل العمل بالقرآن ؛ لأن الآيات لم يبين فيها في الغالب إلا الأحكام العامة كوجوب الصلاة والصوم والحج، وأما تفصيلات أحكامها وبيان أجزائها وشرائطها وموانعها فقد بينته السنة.

ولكن يشترط في الأخذ بها أن تكون واصلة عن طريق مأمون وراو موثوق ، فلا نأخذ بكل رواية رويت عن الرسول ﷺ ولو كان الراوي غير ثقة أو مطعوناً فيه .

الفصل الرابع الإمامة

١- الاعتقاد بالإمامة والدليل عليه :

نعتقد أن الإمامة أصل من أصول الدين لا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها ، ولا يجوز فيها تقليد الآباء والأهل والمربين مهما عظموا وكبروا ، بل يجب النظر فيها كما يجب النظر في التوحيد والنبوة.

ولهذا اعتبرت الروايات الإسلامية الواردة من الطرفين - الشيعة والسنة - أن من مات ولم يعرف إمامه مات ميتة جاهلية.

فمن تلك الروايات : (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية)[1] ومن طريق العامة : (ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية)[2] ، و(من مات وليس له إمام مات

(١) كمال الدين وتمام النعمة ص٤٠٩ ، للشيخ الصدوق .

(٢) صحيح مسلم ٦ : ٢٢ .

ميتة جاهلية)[١].

وليس المراد من الإمام الذي تلزم بيعته ومعرفته هو الحاكم والسلطان أياً كان ؛ لأن كل حكام بني أمية وبني العباس فساق ظالمون، والكثير منهم ـ كما يحدث التأريخ ـ يشربون الخمور ويلهون بالملاهي ويعبثون بالغواني ويقتلون النفس المحترمة، فهل يعقل أن يصدر من الرسول ﷺ ـ وهو الذي يدعو إلى الهدى ودين الحق ويدعو للعدل والإحسان وجاء بأعلى القيم ـ أن من لم يبايع هؤلاء ولا يراهم عليه أئمة يموت ميتة جاهلية ؟! وهل يعقل أن يصدر منه ﷺ : أن من لم يبايع يزيد قاتل ريحانة الرسول وسبطه الإمام الحسين عليه السلام يموت ميتة جاهلية ؟!

لو تعقل ذلك لكان الحكم على الإمام الحسين عليه السلام بأنه مات ميتة جاهلية ! لأنه قتل ولم تكن في عنقه بيعة لأحد، ولا يتفوه بهذا مسلم على وجه الأرض، كيف وقد قال الرسول ﷺ فيه وفي أخيه الإمام الحسن عليه السلام : (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة) كما في الحديث المتسالم عليه عند الفريقين .

---

(١) صحيح ابن حبان ١٠ : ٤٣٤، وفي مسند أحمد ٤ : ٩٦ بلفظ (بغير إمام)، وفي مسند أبي يعلى ١٣ : ٣٦٦ (وليس عليه إمام).

فإذن المراد من الإمام هو إمام الحق الذي عين من قبل الحق تعالى وهم أئمة أهل البيت عليهم السلام كما سيأتي الدليل على ذلك، وبهذا يتضح أن الإمامة أصل من أصول الدين ؛ لأن من لم يعتقد بها تكون ميتته ميتة جاهلية بنص الحديث الشريف، ولا يكون كذلك إلا إذا كان أصلاً يتوقف عليه الدين، وبناء على هذا لا يكفي للمسلم أن يقول : آمنت بالله وبالرسول وبالمعاد ويقف، بل لابد أن يضيف الإيمان بالإمامة ليعرف إمام زمانه حتى لا يموت ميتة جاهلية .

ضرورة وجود الإمام :

لا خلاف بين الخاصّة والعامّة في ضرورة وجود الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، وإنّما الخلاف في أنه منصوب من قبل الله تعالى أو باختيار من الناس .

قالت الشيعة الإمامية بضرورة نصب الإمام وتعيينه من الله تبارك وتعالى بواسطة النبيّ صلى الله عليه وآله ، وذهبت العامّة إلى عدم الحاجة للنصب، بل يتعيّن باختيار الأمّة .

والحَكَم في هذا الاختلاف هو العقل والكتاب والسنّة .

دليل العقل :

أما العقل فبعدة وجوه ونكتفي منها بوجهين :

الوجه الأول :

لو أنّ شخصاً مخترعاً أسّس مصنعاً ينتج أغلى الجواهر، وكان هدفه أن يستمرّ المصنع في إنتاجه ولا يتوقّف في حضوره أو غيابه وحياته وبعد موته، وكان في المصنع أجهزةٌ معقّدة، لا يمكن معرفتها إلاّ بأن يعلّم المخترع أحداً على خصائصها وتشغيلها .

فهل يمكن أن نصدّق أنّ ذلك المخترع العاقل الواعي، يعلن للناس أنه سوف يموت في هذه السنة، ثمّ لا يعيّن لإدارة المصنع شخصاً عالماً بأجهزته، قادراً على تشغيلها واستخدامها للانتاج، بل يترك اختيار المدير والمهندس لذلك المصنع إلى أناس ليس لهم معرفة بأحوال تلك الاجهزة ودقائق صنعها وتشغيلها .

فهل أنّ الدقّة للمعارف والسنن والأحكام الإلهية لجميع مجالات الحياة، التي هي أجهزة مصنع دين الله أقلّ من أجهزة ذلك المصنع؟!

وهل أنّ إنتاجها الذي هو أغلى جواهر الوجود وهو كمال الإنسانية بمعرفة الله تعالى وعبادته، وتعديل شهوة الإنسان إلى العفّة، وغضبه إلى الشجاعة، وفكره إلى الحكمة، وإقامة المدينة الفاضلة على أسس العدل والقسط، أقلّ قدراً

من إنتاج مصنع الجواهر؟! طبعاً لا .

الوجه الثاني :

أنّ الله تعالى بعث رسوله بالقرآن الكريم ووصفه بقوله : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[1] وقال عنه : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾[2]، وقال عنه : ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[3]، فقد جعله الله تعالى تبياناً لكل شيء وهدى لكل من أراد الهداية في جميع الأزمنة، وضمّنه كلّ ما يحلّ اختلاف الناس على اختلاف مراتبهم وألسنتهم وأوصافهم وبلدانهم، ويميّز لهم الحقّ والباطل، ألا يحتاج إلى مبيّن يستخرج منه ما هو تبيان له؟!

إن قلت : الرسول ﷺ هو المبيّن، لم ننكر عليك ذلك، ولكنا نقول : إن الرسول ﷺ بمقتضى عمره القصير وعدم حاجة الناس في ذلك الوقت لجميع الأمور لم يبيّن كل ما يحتاجه الناس إلى يوم القيامة وهو المبعوث للناس كافة،

---

(١) سورة النحل : ٨٩ .

(٢) سورة إبراهيم : ١ .

(٣) سورة النحل : ٦٤ .

فـإذن لابـد مـن وجـود مبـيّن للقـرآن في كـل زمـان، ولا يقبـل العاقل أنّ الله ورسوله قد أوكـلا تعيين المبيّن لـدين الله إلى الـذين يجهلـون علـوم القـرآن وأسـراره، وقـوانين الإسـلام وأهدافه؟!

وظني ـ وظن الألمعي عين اليقين ـ أنه لو التفت أي عاقل من عقلاء المسلمين إلى هذه الجهة لآمن بضرورة وجود إمام يحمل علوم النبي ﷺ وعلوم القرآن حتى يبيّنها للناس، ولو كذّب ما نقول لاتّهم الله تعالى في علمه أو في حكمته ؛ لأن العالم الحكيم لا يقوم بشيء إلا على طبق الحكمة، فهل من الحكمة أن يبعث الرسول ﷺ بهذا القرآن الذي يحوي كل هذه العلوم والمعارف التي لكل البشر في جميع الأزمنة ثم لا يجعل إماماً يبيّن هذه الأمور بعد موت النبي ﷺ وهو يعلم بأن وجود النبي ﷺ محدود بعمر قصير جداً بالنسبة إلى عمر الدنيا ؟

إذن ما فائدة هذه العلوم التي هي للناس وهم يجهلونها ولم يجعل من يعرفهم إياها ؟!

الدليل من الكتاب :

وأما الكتاب فبعدة آيات أيضاً ونكتفي بآيتين :

الآية الأولى : قوله تعالى : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي

جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾[1].

دلّت الآية على أنّ الإمامة لأجيال الناس مقامٌ ربّاني عظيم، لم يبلغه نبيّ الله إبراهيم عليه السلام إلاّ بعد نجاحه في ابتلائه بكلمات، منها امتحانه بإلقائه في نار نمرود، ومنها إسكان زوجته وولده في واد غير ذي زرع، ومنها اختباره باستعداده لذبح ولده إسماعيل.

فبعد أن وصل إبراهيم عليه السلام إلى مراتب النبوّة، والرسالة، والخلّة، وبعد أن ابتلي بكلمات فأتمهنَّ، قال الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، وبسبب عظمة هذا المقام طلبه إبراهيم لذرّيته فأجابه الله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾.

فالآية نسبت جعل الإمامة إلى الله تعالى، وعبّرت عنها بأنها (عهد الله)، فهل يكون المرجع في تعيين من له (عهد الله) هو الله تعالى أو البشر؟ لاشك في أنه بيد الله تعالى لاسيما وأن عهد الله تعالى لا ينال إلاّ المعصوم، ولا يعرف المعصوم إلا الله تعالى؛ لأن عامة أفراد البشر ـ ممن لم يطلعهم الله تعالى على الغيب ـ لا يعرفون عن الآخرين إلا ما يظهر لهم منه، فربما يكون الرجل في ظاهره في غاية الورع وهو في

---

(١) سورة البقرة : ١٢٤ .

الخفاء من أفسق الفاسقين .

والدليل على أن عهد الله تعالى لا ينال إلا المعصوم هو نفس الآية الشريفة ؛ إذ لا شكّ أنّ إبراهيم عليه السلام لم يسأل الإمامة لجميع ذرّيته ؛ لأن ذرية النبي إبراهيم عليه السلام لا تخرج عن أصناف أربعة :

١- من كان ظالماً من أول أمره إلى آخر عمره .

٢- من كان مستقيماً في أول أمره وصار ظالماً في آخر عمره.

٣- من كان ظالماً في أول أمره وصار مستقيماً في آخر عمره.

٤- من لم يصدر منه ظلم من أول أمره إلى آخر عمره .

ويستحيل أن يسأل خليل الله من العدل الحكيم الآمر بالعدل والإحسان الإمامة للصنفين الأولين ؛ إذ لا يمكن أن يطلب الإمامة إلى الظالم حال الإمامة ، والصنفان الأولان يشتركان في الظلم في آخر عمرهم ، فطلب النبي إبراهيم عليه السلام ينحصر في الصنفين الأخيرين، وقد استجاب الله تعالى لطلبه في خصوص الصنف الأخير ولم يجب طلبه بالنسبة للصنف الثالث فقال تعالى : ﴿لَايَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ،

والظلم مطلق يشمل ظلم النفس وظلم الغير، والذنوب والمعاصي ظلم للنفس، فلا ينال عهد الله من ظلم في حياته ولو لمرة واحدة، وبذلك دلّت الآية الشريفة على أنّ الإمامة المطلقة مشروطة بالعصمة المطلقة، فلا يستحقها إلا الصنف الرابع، فهيهات أن ينالها من عَبدَ اللات والعزّى، وأشرك بالله العظيم ولو في بعض أيام حياته، وقد قال سبحانه: ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[1].

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾[2].

الاستدلال بهذه الآية يكمن في معرفة المراد من (أولي الأمر)، والذي نقول به: أنه لا يراد بهم إلا المعصومون، وليس المراد كل من تولى الحكومة وقام على السلطة أياً كان ويتضح ذلك باتضاح أمور:

الأول: أن الآية عطفت أولي الأمر على الرسول ﷺ فأشركتهم في طاعة واحدة ﴿ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾، ليبيّن الله تعالى أن إطاعتهم وإطاعة الرسول ﷺ من سنخ

---

(١) سورة لقمان: ١٣.

(٢) سورة النساء: ٥٩.

واحد وحقيقة واحدة، فكما أن إطاعة الرسول ﷺ غير مقيدة بقيد ولا بشرط فكذلك إطاعة أولي الأمر .

الثاني : أن وجوب إطاعة أولي الأمر بهذا الشكل المطلق لا يكون إلا مع عصمتهم ؛ لأن إطاعة كل أحد مقيدة بعدم مخالفته لأمر الله تعالى، وعدم تقييد إطاعة أولي الأمر يكشف عن أن أوامرهم غير مخالفة لأوامر الله تعالى دائماً وأبداً، لا عمداً ولا سهواً وذلك لا يكون إلا من المعصوم، فيكشف عدم التقييد عن عصمتهم .

الثالث : أن الإمامة عند الجميع خلافة للنبي ﷺ في تطبيق الدين وحفظ كيان الأمة، وأن الإمام واجب الطاعة على جميع الأمة، فإذا لم يكن معصوماً فستصدر منه أوامر مخالفة لأوامر الله تعالى ، ولو سهواً فيلزم من الأمر بإطاعته المطلقة الأمر بالظلم والمنكر وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[1]، وقال تعالى : ﴿ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[2].

---

(١) سورة النحل : ٩٠ .

(٢) سورة الأعراف : ١٥٧ .

النتيجة : أن أمر الله سبحانه بإطاعة أولي الأمر بلا قيد ولا شرط دليل على عدم مخالفة أمرهم لأمر الله ورسوله مطلقاً، وهذا دليل على عصمتهم، وتعيين المعصوم لا يمكن إلا من قبل العالم بالسر والخفيات ؛ لأن غير المعصوم ربما يخالف أوامر الله في السر ويتظاهر بالطاعة في العلن والناس تجهل بذلك .

فدلّت الآية أولاً : على أن تعيين أولي الأمر لا يكون إلا من قبل الله تعالى ؛ لأنه لا يكون إلا معصوماً، وتعيين المعصوم لا يكون إلا من قبله تعالى .

وثانياً : أنه ليس المراد من أولي الأمر هم من تولوا السلطة ؛ لأن الآية تدل على عصمة أولي الأمر، ومن تولى السلطة لا يدّعون لأنفسهم ذلك ولا أحد يدعيها لهم، بل الكثير منهم ظالمون ويأمرون بعكس ما يريده الله تعالى .

نعم الإمام علي عليه السلام هو الوحيد ممن تولى السلطة واستقرت له يدعي العصمة ويدعيها له شيعته وسيأتي إثبات ذلك .

الدليل من السنة :

١- حديث الثقلين :

وأما السنة فروايات كثيرة، منها حديث الثقلين المتواتر

عند الشيعة والسنة وقد ورد بألفاظ متعددة وبطرق كثيرة منها :

ما عن زيد بن أرقم قال : قال رسول الله ﷺ : إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما[1].

وقد استفيد من هذا الحديث عدة أمور نعرضها بإيجاز :

١- تدلّ جملة (إنّي تارك) على أنّ الكتاب والعترة تركةٌ وميراثٌ من النبي ﷺ إلى أمّته ؛ لأنّ نسبة النبيّ إلى أمّته نسبة الأب إلى ولده .

فالكتاب هو رابط الأمّة بربّها ، والعترة هي رابطة الأمّة بنبيّها ، فانقطاع الأمّة عن القرآن انقطاع عن الله تعالى ، وانقطاعها عن العترة انقطاع عن النبيّ ﷺ ، والانقطاع عن النبيّ انقطاع عن الله تعالى .

٢- إنّ وصف العترة بنفس ما وصف به القرآن يفيد أنّ العترة في كلامه ﷺ عِدلٌ للقرآن وشريكٌ للوحي ، ولا يمكن

---

(١) سنن الترمذي ٥ : ٦٦٣ .

أن تكون العترة عدلاً للقرآن ـ في كلام النبيّ ﷺ الذي هو ميزان الحقيقة ـ إلاّ إذا كانت العترة، فيما وصف الله الكتاب بقوله : ﴿تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾[1] شريكاً لعلم القرآن، وفيما وصف الله القرآن بقوله: ﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ ﴾[2] شريكاً في عصمته .

وبعبارة أخرى : يدل على تميزهم بالعلم بكل ما يتصل بالشريعة وغيره، وعلى عصمتهم، أما دلالته على تميزهم بالعلم، فيدل عليه اقترانهم بالكتاب الموصوف بأنه تبيان لكل شيء، والذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة، كما يدل عليه قوله ﷺ : ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم، وسيأتي تخريجه .

يقول ابن حجر ـ وهو من علماء السنة ـ : (ثم إن الذين وقع الحث عليهم منهم إنما هم العارفون بكتاب الله وسنة رسوله، إذ هم الذين لا يفارقون الكتاب إلى الحوض، ويؤيده الخبر السابق : ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم، وتميزوا بذلك عن بقية العلماء لأن الله أذهب عنهم الرجس وطهرهم

(١) سورة النحل : ٨٩ .
(٢) سورة فصلت : ٤٢ .

تطهيرا، وشرفهم بالكرامات الباهرة، والمزايا المتكاثرة، وقد مر بعضها)[1].

وأما دلالته على عصمة أهل البيت عليهم السلام فمن جهات :

أ- اقترانهم بالكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وتصريحه بعدم افتراقهم عنه، ومن البديهي أن صدور أية مخالفة للشريعة سواء كانت عن عمد أم سهو أم غفلة، تعتبر افتراقاً عن القرآن في هذا الحال وان لم يتحقق انطباق عنوان المعصية عليها أحيانا كما في الغافل والساهي، فالافتراق يتحقق بعدم المصاحبة ؛ فيتحقق بعدم التقيد بأحكامه وإن كان معذورا في ذلك لغفلته، والحديث صريح في عدم افتراقهما حتى يردا الحوض .

ب- إن الحديث اعتبر التمسك بأهل البيت عليهم السلام عاصماً عن الضلالة دائماً وأبداً، كما هو مدلول كلمة (لن) التأبيدية، والإنسان الفاقد للشيء لا يعطيه .

ج- إن تجويز الافتراق عليهم بمخالفة الكتاب وصدور الذنب منهم تجويز للكذب على الرسول صلى الله عليه وآله الذي أخبر عن الله عز وجل بعدم وقوع افتراقهما، وتجويز الكذب عليه متعمداً

---

(١) الصواعق المحرقة ص١٤٩.

في مقام التبليغ والإخبار عن الله في الأحكام وما يرجع إليها، مناف لافتراض العصمة في التبليغ، وهي مما أجمعت عليها كلمة المسلمين على الإطلاق، ولا إشكال أن الغلط لا يتأتى في هذا الحديث لإصرار النبي ﷺ على تبليغه في أكثر من موضع وإلزام الناس بمؤداه، والغلط لا يتكرر عادة .

٣- ورد في بعض صيغ الحديث (تارك فيكم خليفتين) وفي بعضها : (مخلف فيكم الثقلين)، ويستفاد من تعبير (خليفتين) ومن تعبير (مخلّف) أن العترة خليفة للرسول ﷺ ، فهذا الحديث مرسوم نبوي في تعيين خليفته في المسلمين إلى يوم القيامة .

٤- لزوم التمسك بهما معاً لا بواحد منهما ليؤمن بذلك من الوقوع في الضلال، لقوله ﷺ فيه : ما إن تمسكتم به لن تضلوا ، وضمير به راجع إلى (ما ترك) وهو الاثنان، ويؤيد ذلك ما ورد في بعض الروايات (ما إن تمسكتم بهما) و (فانظروا كيف تخلفونني فيهما)، وأوضح من ذلك دلالة ما ورد في رواية الطبراني في تتمتها : (فلا تقدموهما فتهلكوا ، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ، ولا تعلموهم فإنهم أعلم

منكم)[١].

ومن الواضح أن معنى التمسك بالقرآن، هو الأخذ بتعاليمه والسير على وفقها، وهو نفسه معنى التمسك بأهل البيت عليهم السلام عدل القرآن.

فمن هذا الحديث يتضح أن التمسك بأحدهما لا يغني عن الآخر (ما إن تمسكتم بهما)، (ولا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا)، ولم يقل ما إن تمسكتم بأحدهما، أو تقدمتم أحدهما، والسر في ذلك أنهما معاً يشكلان وحدة واحدة يتمثل بها الإسلام على واقعه وبكامل أحكامه ووظائفه.

٥- كما يدلّ قوله صلى الله عليه وآله (لن يتفرّقا) على التلازم الدائم بين القرآن والعترة في العمل ـ وهو معنى العصمة ـ فكذلك يدل على تلازمهما في الوجود، أي بقاء العترة إلى جنب الكتاب إلى يوم القيمة، فلا يخلو منهما زمان من الأزمنة ما داما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض، وهي كناية عن بقائهما إلى يوم القيمة[٢].

---

(١) المعجم الكبير ٥ : ١٦٧.

(٢) استفدنا بعض دلالات الحديث مما أفاده العلامة السيد محمد تقي الحكيم رحمه الله في كتابه الأصول العامة للفقه المقارن، ص ١٦٦.

يقول ابن حجر : (وفي أحاديث الحث على التمسك بأهل البيت إشارة على عدم انقطاع متأهل منهم للتمسك به إلى يوم القيمة، كما أن الكتاب العزيز كذلك، ولهذا كانوا أمانا لأهل الأرض كما يأتي، ويشهد لذلك الخبر السابق : في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي)[1].

٢- حديث الغدير :

وهو من الأحاديث المتواترة عند الفريقين أيضاً وروي بطرق كثيرة، وهو في ضمن خطبة كبيرة وبليغة وله ألفاظ متعددة منها ما رواه زيد بن أرقم قال :

« لمّا رجع رسول الله ﷺ من حجّة الوداع ونزل غدير خمّ أمر بدوحات فقُمِمْنَ، فقال :

كأنّي قد دعيت فأجبت، إنّي قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله وعترتي، فانظروا كيف تخلّفوني فيهما، فإنّهما لن يتفرّقا حتّى يردا عليَّ الحوض .

ثمّ قال : إنّ الله ﷻ مولاي وأنا مولى كلّ مؤمن، ثمّ أخذ بيد علي عليه السلام فقال : من كنت مولاه فهذا وليّه . اللّهمَّ والِ من

---

(١) الصواعق المحرقة ص ١٤٩.

والاه، وعادِ من عاداه ....»[١].

ففي هذا الحديث بهذا اللفظ بعد ما بيّن الرسول ﷺ أنّ ما تركه لصيانة الأمّة عن الضلالة هو الكتاب والعترة، أراد أن يبيّن مصداق العترة، وأن يعرّف (الذي لا يفترق عن القرآن، ولا يفترق القرآن عنه) لئلاّ تبقى أيّة شبهة لأحد من الأمّة، فأخذ بيد عليّ عليه السلام فقال: «من كنت مولاه فهذا وليّه، اللّهمَّ والِ من والاه وعاد من عاداه».

ومن ألفاظه الواردة ما في مسند أحمد:

عن البراء بن عازب قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فنزلنا بغدير خم، فنودي فينا الصلاة جامعة، وكسح لرسول الله ﷺ تحت شجرتين فصلى الظهر وأخذ بيد علي رضي الله عنه فقال: ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال: ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا بلى، قال: فأخذ بيد علي فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من ولاه وعاد من عاداه، قال: فلقيه عمر بعد ذلك فقال له: هنيئاً يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت

(١) المستدرك على الصحيحين ٣ : ١٠٩ .

مولى كل مؤمن ومؤمنة)[١].

ولا يخفى أن المراد من (من كنت مولاه فعلي مولاه) هو تنصيب علي للخلافة كما يدل على ذلك أمور :

١- تقديم الرسول ﷺ قوله : ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟

٢- نعي الرسول ﷺ نفسه للأمة وأنه سيفارقهم عن قريب.

٣- فهم الحضور الذين توجه لهم الخطاب ذلك المعنى كما يظهر من التهنئة التي قدمها عمر كما في الرواية السابقة، وقدمها غيره أيضاً كما في روايات أخر .

٤- أن وقت التنصيب كان في وقت حار جداً وهو وقت الظهيرة أو ما قاربها .

٥- أن مكان التنصيب كان مكاناً حاراً جداً وهي صحراء الحجاز المحرقة .

فلا يعقل من الرسول ﷺ وهو أكبر حكيم على وجه الأرض أن يوقف آلاف من البشر في مكان ووقت كهذين ليخبرهم بأن علياً ناصرهم أو محبهم مع أنه كان ناصراً

---

(١) مسند أحمد : ٤ : ٢٨١ .

للإسلام والمسلمين من أول بدء الدعوة، فلابد أن يريد أمراً مهماً وهي الخلافة .

٣- حديث المنزلة :

وهو من الأحاديث المتواترة أيضاً وقد رواه حتى البخاري نفسه ونقتصر على لفظ البخاري : عن مصعب بن سعد عن أبيه : أن رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك واستخلف علياً فقال : أتخلفني في الصبيان والنساء ؟ قال : ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبي بعدي)[1].

إن تنزيل الإمام علي عليه السلام من الرسول ﷺ منزلة هارون من موسى واستثناء النبوة فقط ، يدل على أن لعلي جميع المنازل التي كانت لهارون ما عدا النبوة، فنعرف منزلة الإمام علي من الرسول ﷺ بعد أن نعرف منزلة هارون من موسى، ومنازله منه هي :

١- أن علياً عليه السلام وزير النبي ﷺ لأن هارون وزير لموسى، قال تعالى : ﴿ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴾[2]، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴾[3].

---

(١) صحيح البخاري ٤ : ١٦٠٢ .

(٢) سورة طه : ٢٩ ـ ٣٠ .

(٣) سورة الفرقان : ٣٥ .

٢- أن علياً يشد أزر الرسول ﷺ في أعباء النبوة الخاتمة التي هي أهم المسؤوليات فلا يعقل أن يكون خليفته بعد مماته غير من يشد أزره في حياته، قال تعالى :﴿ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴾[1]، وقال تعالى : ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾[2].

٣- أن علياً خليفة الرسول ﷺ بلا فصل ؛ لأن هارون من موسى كذلك، قال تعالى :﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ .

٤- أن علياً نائب الرسول ﷺ في إصلاح أمته ؛ لأن هارون كان كذلك في قوم موسى بمقتضى الآية السابقة .

٥- أن علياً عليه السلام شريك للنبي في أمره وعمله ما عدا النبوة المستثناة ؛ لأن هارون كان من موسى كذلك قال تعالى : ﴿ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴾[3].

ومن أمر الرسول ﷺ ما في قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟

---

(١) سورة طه : ٣١ .

(٢) سورة القصص : ٣٥ .

(٣) سورة طه : ٣٢ .

﴿مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[١].

ومن أمره ما في قوله تعالى : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾[٢].

ومن أمره ما في قوله تعالى : ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾[٣].

فعلي شريك في أمر ولي الأمر ومن هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم فهل يكون خليفته غيره ممن ليست له هذه المنازل ؟!

٤- حديث من أطاعني فقد أطاع الله :

عن أبي ذرّ ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع علياً فقد أطاعني، ومن عصى علياً فقد عصاني[٤].

وقد صحح هذا الحديث كبار علماء السنة كالحاكم في مستدركه والذهبي في تلخيصه، ويستفاد منه أمور :

١- أن طاعة علي هي طاعة الله تعالى، وعصيانه هو

(١) سورة الجمعة : ٢.

(٢) سورة النساء : ١٠٥

(٣) سورة الأحزاب : ٦ .

(٤) المستدرك على الصحيحين ٣ :١٢١ وغيره.

عصيان الله تعالى .

ويمكن توضيح هذا الأمر بهذا الشكل :

أ- من أطاع الرسول ﷺ فقد أطاع الله تعالى .

ب- من أطاع علياً فقد أطاع الرسول ﷺ .

النتيجة: من أطاع علياً فقد أطاع الله تعالى والرسول ﷺ .

أ- من عصى الرسول ﷺ فقد عصى الله تعالى .

ب- من عصى علياً فقد عصى الرسول ﷺ .

النتيجة: من عصى علياً فقد عصى الله تعالى والرسول ﷺ.

٢- أن الإمام علياً عليه السلام إمام تجب طاعته على الجميع، وتوضيحه :

إن كلمة (مَن) في الحديث تدل على العموم ولم يستثن أحد منها لا من الصحابة ولا من غيرهم، وهذا يعني أنّ كلّ من كان داخلاً في دائرة إطاعة الله ورسوله لابدّ له أن يطيع عليّاً عليه السلام ولو لم يطع علياً عليه السلام كان عاصياً لله ورسوله، فإذن تجب طاعته على الجميع، ومن وجبت طاعته على الجميع هو الإمام ؛ إذ لا يعقل أن يكون من تجب طاعته على الناس موجوداً والإمام غيره، بل ويكون ذلك الغير الذي صيّر إماماً هو من جملة المخاطبين بالطاعة لمن لم يجعل إماماً .

٣- عصمة الإمام علي عليه السلام، وتوضيحه :

أنّ الطاعة والمعصية إنّما تكون عند الأمر والنهي، ومنشأ الأمر هو إرادة المأمور به، ومنشأ النهي هو كراهة المنهي عنه، فلا يمكن أن تكون طاعة عليّ ومعصيته طاعة الله تعالى ومعصيته، إلاّ أن تكون إرادة عليّ وكراهته موافقة لإرادة الله تعالى وكراهته دائماً، ومن كان كذلك فهو معصوم قطعاً .

وحاصل القول : إن الإمامة كالنبوة لا تكون إلا بالنص من الله تعالى على لسان رسوله أو لسان الإمام المنصوب بالنص إذا أراد أن ينص على الإمام من بعده، وحكمها في ذلك حكم النبوة بلا فرق، فليس للناس أن يتحكموا فيمن يعينه الله هاديا ومرشدا لعامة البشر، كما ليس لهم حق تعيينه أو ترشيحه أو انتخابه، لأن الشخص الذي له من نفسه القدسية استعداد لتحمل أعباء الإمامة العامة وهداية البشر قاطبة يجب ألا يعرّف إلا بتعريف الله ولا يعيّن إلا بتعيينه كما أوضحناه في الآيات والروايات السابقة .

٢- عصمة الإمام :

نعتقد أن الإمام كالنبي يجب أن يكون معصوما من

جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن، من سن الطفولة إلى الموت، عمدا وسهوا . كما يجب أن يكون معصوما من السهو والخطأ والنسيان، لأن الأئمة حفظة الشرع والقوامون عليه حالهم في ذلك حال النبي ﷺ، والدليل الذي اقتضانا أن نعتقد بعصمة الأنبياء هو نفسه يقتضينا أن نعتقد بعصمة الأئمة، بلا فرق، وما تقدم من الكتاب والسنة دليل على ذلك أيضاً .

٣- صفات الإمام وعلمه :

نعتقد أن الإمام كالنبي يجب أن يكون أفضل الناس في صفات الكمال من شجاعة وكرم وعفة وصدق وعدل، ومن تدبير وعقل وحكمة وخلق . والدليل في النبي هو نفسه الدليل في الإمام .

أما علمه فهو يتلقى المعارف والأحكام الإلهية وجميع المعلومات من طريق النبي أو الإمام من قبله أو من طريق الإلهام بالقوة القدسية التي أودعها الله تعالى فيه، لا يخطأ فيه ولا يشتبه ولا يحتاج في كل ذلك إلى البراهين العقلية ولا إلى تلقينات المعلمين.

ويبدو واضحاً هذا الأمر في تاريخ الأئمة عليهم السلام كالنبي

محمد ﷺ ، فإنهم لم يتربوا على أحد ، ولم يتعلموا على يد معلم، من مبدأ طفولتهم إلى سن الرشد ، حتى القراءة والكتابة ، ولم يثبت عن أحدهم أنه دخل الكتاتيب أو تلمذ على يد أستاذ في شيء من الأشياء ، مع ما لهم من منزلة علمية لا تجارى . وما سئلوا عن شيء إلا أجابوا عليه في وقته ، ولم تمر على ألسنتهم كلمة (لا أدري)، ولا تأجيل الجواب إلى المراجعة أو التأمل أو نحو ذلك . في حين أنك لا تجد شخصا مترجما له من فقهاء الإسلام ورواته وعلمائه إلا ذكرت في ترجمته تربيته وتلمذته على غيره وأخذه الرواية أو العلم على المعروفين وتوقفه في بعض المسائل أو شكه في كثير من المعلومات ، كعادة البشر في كل عصر ومصر .

٤- حب آل البيت عليهم السلام :

قال الله تعالى : ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾[1] .
نعتقد أنه - زيادة على وجوب التمسك بآل البيت عليهم السلام - يجب على كل مسلم أن يدين بحبهم ومودتهم ، لأنه تعالى في هذه الآية المذكورة حصر المسئول عليه الناس في المودة في القربى . وقد تواتر عن النبي ﷺ أن حبهم علامة الإيمان ، وأن بغضهم

(١) سورة الشورى : ٢٣ .

علامة النفاق، وأن من أحبهم أحب الله ورسوله، ومن أبغضهم أبغض الله ورسوله . بل حبهم فرض من ضروريات الدين الإسلامي التي لا تقبل الجدل والشك، وقد اتفق عليه جميع المسلمين على اختلاف نحلهم وآرائهم، عدا فئة قليلة اعتبروا من أعداء آل محمد، فنبزوا باسم (النواصب) أي من نصبوا العداوة لآل بيت محمد ﷺ .

ولا شك أنه تعالى لم يفرض حبهم ومودتهم إلا لأنهم أهل للحب والولاء، من ناحية قربهم إليه سبحانه، ومنزلتهم عنده، وطهارتهم من الشرك والمعاصي ومن كل ما يبعد عن دار كرامته وساحة رضاه . ولا يمكن أن تتصور أنه تعالى يفرض حب من يرتكب المعاصي أو لا يطيعه حق طاعته، فإنه ليس له قرابة مع أحد أو صداقة وليس عنده الناس بالنسبة إليه إلا عبيدا مخلوقين على حد سواء، وإنما أكرمهم عند الله أتقاهم . فمن أوجب حبه على الناس كلهم لا بد أن يكون أتقاهم وأفضلهم جميعا، وإلا كان غيره أولى بذلك الحب، أو كان الله يفضل بعضا على بعض في وجوب الحب والولاية عبثا أو لهوا بلا جهة استحقاق وكرامة وحاشاه ذلك .

٥- عقيدتنا في الأئمة عليهم السلام :

لا نعتقد في أئمتنا ما يعتقده الغلاة والحلوليون، بل عقديتنا الخاصة أنهم بشر مثلنا، وإنما هم عباد مكرمون اختصهم الله تعالى بكرامته وحباهم بولايته، إذ كانوا في أعلى درجات الكمال اللائقة في البشر من العلم والتقوى والشجاعة والكرم والعفة وجميع الأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة، لا يدانيهم أحد من البشر فيما اختصوا به . وبهذا استحقوا أن يكونوا أئمة وهداة ومرجعا بعد النبي صلى الله عليه وآله في كل ما يعود للناس من أحكام وحكم، وما يرجع للدين من بيان وتشريع، وما يختص بالقرآن من تفسير وتأويل . قال إمامنا الصادق عليه السلام : (ما جاءكم منا مما يجوز أن يكون في المخلوقين ولم تعلموه ولم تفهموه فلا تجحدوه وردوه إلينا، وما جاءكم عنا مما لا يجوز أن يكون في المخلوقين فاجحدوه ولا تردوه إلينا)[1].

٦- عدد الأئمة :

نعتقد أن الأئمة عليهم السلام ـ الذين لهم صفة الإمامة الحقة وهم مرجعنا في الأوامر الإلهية، المنصوص عليهم بالإمامة ـ اثنا

(١) بحار الأنوار ٢٥ : ٣٦٤

عشر إماماً، نص عليهم النبي ﷺ جميعاً بأسمائهم، ثم نص المتقدم منهم على من بعده، وهذه العقيدة هي الموافقة لبشارة الرسول ﷺ في أحاديث كثيرة رواها أهل السنة فضلاً عن الشيعة بعنوان «اثنا عشر خليفة» و«اثنا عشر أميراً»، وفيما يلي بعضها :

١- في صحيح البخاري : « عن جابر بن سمرة قال : سمعت النبي ﷺ يقول : **يكون اثنا عشر أميراً** فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي إنه قال كلّهم من قريش »[١].

٢- وفي صحيح مسلم : « عن جابر بن سمرة قال : دخلت مع أبي على النبي ﷺ فسمعته يقول : إنّ هذا الأمر لا ينقضي حتّى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة . قال : ثمّ تكلّم بكلام خفي عليَّ، قال : فقلت لأبي : ما قال ؟ قال : كلّهم من قريش»[٢].

٣- وفي مسند أحمد : « لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة .. »[٣].

---

(١) صحيح البخاري: آخر كتاب الأحكام ٨: ١٢٧، مسند أحمد ٥: ٩٣ .

(٢) صحيح مسلم ١٢ :٢٠١ .

(٣) مسند أحمد ٥ : ٩٠ .

٤- وفي لفظ آخر : «اثنا عشر كعدة نقباء بني إسرائيل»[١].

والأحاديث في هذا الباب كثيرة .

ويدل هذا الحديث على عدة أمور :

١- حصر الخلفاء في اثني عشر .

٢- استمرار خلافة هؤلاء الإثني عشر إلى يوم القيامة .

٣- توقّف عزّة الإسلام وأمّته ومنعتهما عليهم .

٤- أنّ قوام الدين علماً وعملاً بهم، لأنّ قوامه العلمي بمفسّر للكتاب ومبيّن لحقائقه ومعارفه، وقوامه العملي بمنفذ لقوانينه وأحكامه العادلة، وهذان الغرضان المهمّان لا يتيسّران إلاّ بتحقّق شروط خاصّة في هؤلاء الأئمّة الإثني عشر .

٥- إن اختياره ﷺ للتنظير نقباء بني إسرائيل مع أن النظير للعدد متعدد، تنبيه على أن خلافتهم ليست بانتخاب من الناس، بل تعيين من الله، فقد قال الله تعالى عن النقباء : ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾[٢].

---

(١) مسند أحمد ١ : ٣٩٨ .

(٢) المائدة : ١٢ .

٦- إنّ هؤلاء الأئمّة من قريش .

فهل يوجد خلفاء فيهم هذه المزايا ، إلاّ على المذهب الحقّ؟

وهل يمكن تفسير الأئمّة الإثني عشر إلاّ بأئمّتنا عليهم السلام ؟

وهل تحقّقت عزّة الإسلام وأهدافه في خلافة يزيد بن معاوية وأمثاله ممن عاثوا في الأرض الفساد؟!

ولهذا ترى علماء السنة قد سلكوا في تفسير هذه الأحاديث مسالك ملتوية ولم يقفوا لها على تفسير صحيح، ولو يمموا صوب أهل البيت عليهم السلام لعرفوا الطريق الواضح والصراط المستقيم.

وأئمتنا الإثنا عشر المشهود لهم بالعلم والتقوى حتى من قبل علماء السنة هم كالتالي :

١- الإمام علي بن أبي طالب :

ولد عليه السلام بعد عام الفيل بثلاثين سنة ، وكانت ولادته في يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلةً خلت من رجب، في البيت الحرام الذي جعله الله قبلةً للأنام .

قال علي بن محمّد المالكي : ولم يولد في البيت الحرام قبله أحدٌ سواه، وهي فضيلة خصّه الله تعالى بها إجلالاً له،

وإعلاماً لمرتبته، وإظهاراً لتكرمته.

استشهد عليه في شهر رمضان ليلة إحدى وعشرين سنة أربعين من الهجرة، بعد أن ضربه عبد الرحمن بن ملجم في محراب مسجد الكوفة وله يومئذ ثلاث وستون سنة

٢- الحسن بن علي بن أبي طالب :

ولد عليه في شهر رمضان، والأشهر أن ولادته يوم الثلاثاء، منتصف شهر رمضان، في سنة اثنتين من الهجرة، وقبض في شهر صفر من سنة تسع وأربعين، فعمره سبع وأربعون سنة وأشهر

كان أشبه الناس برسول الله ﷺ خلقاً وهدياً وسؤدداً [1].

٣- الحسين بن علي بن أبي طالب :

ولد عليه عام الخندق بالمدينة، والأشهر أنه ولد لثلاث خلون من شعبان، وشهادته يوم العاشر من محرم سنة إحدى وستين، وعمره ست وخمسون سنة وشهوراً

كان يجلس في المكان المظلم فيهتدى إليه ببياض جبينه ونحره [2].

---

(١) الفصول المهمة ص ٢٠.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٤ : ٧٥، شرح الأخبار ٣ : ١١٢.

قال رسول الله ﷺ : **« حسينٌ منّي وأنا من حسين، أحبَّ الله من أحبَّ حسيناً، حسين سبط من الأسباط »**[(١)].

وأم الحسن والحسين عليهما السلام هي سيدة نساء العالمين فاطمة بنت رسول الله ﷺ .

٤- علي بن الحسين (زين العابدين) :

وأمّه شاهزنان بنت يزدجرد، ولد عليه السلام بالمدينة خامس شعبان سنة ثمان وثلاثين، وقبض في محرّم سنة خمس وتسعين، وعمره سبع وخمسون سنة .

قال الزمخشري : روي عن النبي ﷺ أنه قال : (لله من عباده خِيَرتان، فخيرته من العرب قريش، ومن العجم فارس)، وكان يقال لعليّ بن الحسين : ابن الخيرتين[(٢)].

٥- محمد بن علي بن الحسين (الباقر) :

ولد عليه السلام بالمدينة ثالث صفر أو غرّة رجب سنة سبع وخمسين، وقبض سنة أربع عشرة ومائة سابع ذي الحجّة، وكان عمره سبعاً وخمسين سنة .

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ٤ : ١٧٢، سنن ابن ماجه ١ : ٥١، سنن الترمذي ٥ : ٣٢٤، المستدرك على الصحيحين ٣ : ١٧٧ .

(٢) ربيع الأبرار ١ : ٤٠٢.

وامّــه أمّ عبــد الله بنــت الحــسن بــن علــي ، فهــو ابن الحسن والحسين .

وعن الصادق : وكانت امّه صدّيقة لم تدرك في آل الحسن مثلها[١].

وعن الباقر : كانت أمّي قاعدة عند جدار فتصدّع الجــدار ، وسمعنــا هــدّة شــديدة ، فقالــت بيــدها : لا وحــقّ المــصطفى ، مــا أذن لــك في الــسقوط ، فبقــي معلّقــاً حتّــى جازته[٢] .

روت الخاصّــة والعامّــة أنّ رســول الله ابلغــه الــسلام بواسطة جابر بن عبد الله الأنصاري .

٦- جعفر بن محمد بن علي (الصادق) :

ولـد بالمدينة سابع عشر شهر ربيع الأوّل سنة ثلاث وثمانين ، وقبض بها في شوّال سنة ثمان وأربعين ومائة ، ولـه خمس وستّون سنة .

وامّه أمّ فروة بنت القاسم .

قال ابن طلحة : (هو من عظماء أهل البيت وساداتهم، ذو

---

(١) الكافي ١ : ٤٦٩ .

(٢) الكافي ١ : ٤٦٩ .

علوم جمّة، وعبادة موفورة، وأوراد متواصلة، وزهادة بيّنة، وتلاوة كثيرة، يتتبّع معاني القرآن الكريم، ويستخرج من بحره جواهره، ويستنتج عجائبه .

ويقسّم أوقاته على أنواع الطاعات، بحيث يحاسب عليها نفسه، رؤيته تذكّر بالآخرة، واستماع كلامه يزهد في الدُّنيا، والاقتداء بهديه يورث الجنّة..)[١].

٧- موسى بن جعفر (الكاظم) :

ولد لسبع خلون من صفر سنة ثمان وعشرين ومائة، وقبض لخمس بقين من رجب سنة ثلاث وثمانين ومائة، وله خمس وخمسون سنة، وكانت مدّة إمامته خمساً وثلاثين سنة .

قال ابن حجر : وكان معروفاً عند أهل العراق بباب قضاء الحوائج عند الله، وكان أعبد أهل زمانه وأعلمهم وأسخاهم[٢] .

٨- علي بن موسى (الرضا) :

ولد عليه السلام على الأشهر لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة، وقال في الكافي : ولد سنة ثمان وأربعين ومائة،

---

(١) مطالب السؤول ، ص٨١ .

(٢) الصواعق المحرقة ص٢٠٣ .

وقبض في صفر من سنة ثلاث ومائتين، وهو ابن خمس وخمسين سنة، وقد اختلف في تاريخه، إلاّ أنّ هذا التاريخ هو أقصد إن شاء الله[١] .

قال ابن طلحة : وكانت مناقبه عليّة، وصفاته الشريفة سنيّة، ومكارمه حاتميّة، وشنشنته أخزمية، وأخلاقه عربية، ونفسه الشريفة هاشمية، وأرومته الكريمة نبويّة، فمهما عدّ من مزاياه كان عليه السلام أعظم منه، ومهما فصّل من مناقبه كان أعلى رتبة منه[٢] .

٩- محمد بن علي (الجواد) :

ولد عليه السلام في شهر رمضان أو شهر رجب سنة خمس وتسعين ومائة، وقبض سنة عشرين ومائتين في آخر ذي القعدة، وكانت مدّة إمامته من بعد أبيه سبع عشرة سنة، وهو المولود الذي لم يولد مولود أعظم بركةً على الشيعة منه[٣] .

١٠- علي بن محمد (الهادي) :

قيل ولد للنصف من ذي الحجّة سنة اثنتي عشرة ومائتين، وروي أنه ولد في رجب سنة أربع عشرة ومأتين، وقبض لأربع

(١) الكافي ١ : ٤٨٦ .

(٢) مطالب السؤول ص٨٤ .

(٣) الكافي ١ : ٣٢١ .

بقين من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين ومائتين، وروي أنه قبض عليه السلام سنة أربع وخمسين ومائتين، وعمره على القول الأوّل في مولده إحدى وأربعون سنة وستّة أشهر، وعلى المروي أربعون سنة[1] .

وأمه أم ولد يقال لها : سمانة .

عن أبي هاشم الجعفري، قال : كنت بالمدينة حين مرّ بنا (بغا) أيّام الواثق في طلب الأعراب فقال أبو الحسن : اخرجوا بنا حتّى ننظر إلى تعبئة هذا التركي، فخرجنا فوقفنا فمرّت بنا تعبئته، فمرّ بنا تركي، فكلّمه أبو الحسن عليه السلام بالتركي، فنزل عن فرسه فقبّل حافر فرس الإمام عليه السلام، فحلّفت التركي، فقلت له : ما قال لك الرجل؟ قال : هذا نبيّ ؟! قلت : ليس هو بنبيّ . قال : دعاني باسم سمّيت به في صغري في بلاد الترك، ما علمه أحدٌ إلى الساعة[2] .

١١- الحسن بن علي (العسكري) :

ولد عليه السلام في شهر ربيع الآخر، والأشهَر أنّ ولادته في ثمان خلون منه في سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، وقبض في الثامن

---

(١) الكافي ١ : ٤٩٧ .

(٢) الخرائج والجرائح ٢ : ٦٧٤، كشف الغمّة ٢ : ٣٩٧ .

من ربيع الأوّل سنة ستّين ومائتين، وكانت مدّة خلافته ست سنين .

عن علي بن محمّد عن جماعة من أصحابنا قالوا : سلّم أبو محمّد عليه السلام إلى نحرير وكان يضيّق عليه ويؤذيه، فقالت له امرأته : اتّق الله فإنّك لا تدري من في منزلك؟ وذكرت له صلاحه وعبادته وقالت : إنّي أخاف عليك منه، فقال : والله لأرمينّه بين السباع ، ثمّ استأذن في ذلك فأذن له ، فرمى به إليها فلم يشكّوا في أكلها ، فنظروا إلى الموضع ، فوجدوه عليه السلام قائماً يصلّي وهي حوله، فأمر بإخراجه إلى داره[1] .

١٢- أبو القاسم محمد بن الحسن (المهدي) :

ولد عليه السلام في النصف من شعبان سنة ستة وخمسين ومائتين، وهو الحجة في عصرنا، الغائب المنتظر، عجل الله فرجه وسهل مخرجه، ليملأ الأرض عدلا وقسطا بعد ما ملئت ظلما وجورا .

---

(١) الكافي ١ : ٥١٣، إعلام الورى ١ : ١٥١.

عقيدتنا في المهدي

إن البشارة بظهور (المهدي) من ولد فاطمة ﷺ في آخر الزمان ليملأ الأرض قسطا وعدلا بعد ما ملئت ظلما وجورا ثابتة عن النبي ﷺ بالتواتر، وسجلها المسلمون جميعا فيما رووه من الحديث عنه على اختلاف مشاربهم . وليست هي بالفكرة المستحدثة عند (الشيعة) دفع إليها انتشار الظلم والجور، فحلموا بظهور من يطهر الأرض من رجس الظلم، كما يريد أن يصورها بعض المغالطين غير المنصفين .

قال أبو الحسين الابري وهو من كبار علماء العامّة :

وقد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى ﷺ في المهدي، وأنه من أهل بيته ..، وأنه يؤمّ هذه الأمّة وعيسى خلفه ...) [1] .

وقال الشبلنجي في نور الأبصار :

---

(١) تهذيب التهذيب ٩ : ١٢٦ ، الغيبة للنعماني ص٧٥ باب٤ ح٩ .

(تواترت الأخبار عن النبي ﷺ أنه من أهل بيته وأنه يملأ الأرض عدلاً) [١] .

وقال ابن أبي الحديد :

(وقد وقع اتفاق الفرق من المسلمين أجمعين على أنّ الدُّنيا والتكليف لا ينقضي إلاّ عليه) [٢] أي بظهوره عليه السلام .

وقال زيني دحلان :

(والأحاديث الّتي جاء فيها ذكر ظهور المهدي كثيرة متواترة) [٣] .

وطول الحياة أكثر من العمر الطبيعي أو الذي يتخيل أنه العمر الطبيعي لا يمنع منها فن الطب ولا يحيلها ، غير أن الطب بعد لم يتوصل إلى ما يمكنه من تعمير حياة الإنسان . وإذا عجز عنه الطب فإن الله تعالى قادر على كل شيء ، وقد وقع فعلا تعمير نوح وبقاء عيسى عليهما السلام كما أخبر عنهما القرآن الكريم .

ولو شك الشاك فيما أخبر به القرآن فعلى الإسلام السلام .

---

(١) نور الابصار ص١٨٩ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠ : ٩٦ .

(٣) الفتوحات الاسلامية ٢ : ٣٣٨ .

ومن العجب أن يتساءل المسلم عن إمكان ذلك وهو يدعي الإيمان بالكتاب العزيز .

ضرورة وجود الامام في كلّ عصر :

تقدم ما رواه الفريقان عن رسول الله ﷺ بهذا المضمون : (من مات ولم يعرف إمام زمانه، أو ليس له إمام مات ميتة جاهلية)، وبما أنّ معرفة إمام العصر عليه السلام تفصيلاً لا تتيسّر لنا، فنكتفي بمعرفته إجمالاً على سبيل الاختصار .

إنّ وجود الإمام في كلّ عصر ضروري بالعقل والنقل وقد تقدّم ذلك في مبحث الإمامة .

الدليل العقلي :

أنّ النبوّة والرسالة قد ختمت بنبيّ الإسلام ﷺ، وأنّ مرحلة نزول الوحي وتبليغ الرسالة انتهت برحلة النبيّ ﷺ، ولكن القرآن الذي أنزله الله تعالى لتعليم الإنسان وتربيته باق وخالد، وهو يحتاج إلى معلّم ومرب، وقوانين القرآن التي شرّعت لضمان حقوق الإنسان، تحتاج إلى مفسّر ومنفّذ .

وذلك أنّ الغرض الإلهي من بعثة خاتم الأنبياء ﷺ ، غرضٌ ممتدّ في الأجيال، ولا يتحقّق إلاّ بوجود معلّم عالم بما في القرآن، منزّه عن الخطأ والهوى، متخلّق بأعلى صفات

الكمال المقصودة بقوله ﷺ : (إنّما بعثت لأُتمّم مكارم الأخلاق)[١] ، فبذلك وحده يتحقّق الكمال العلمي والعملي للبشر، الذي هو الغرض من خلق الإنسان ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾[٢].

وبالجملة، فإنّ القرآن الكريم كتاب أُنزل لإخراج جميع أفراد البشر من الظلمات الفكرية والأخلاقية والعملية إلى عالم النور : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾[٣] ، ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾[٤] ، ولا يمكن أن يتحقّق هذا الغرض إلاّ بواسطة إنسان عصمه الله من الأخطاء والأهواء، وإلاّ فمن هو في الظلمات ليس بخارج منها كيف يكون مخرجاً عنها.

ولولا وجود هذا الإنسان لما تيسّر تعلّم الكتاب والحكمة، والقيام بالقسط في الأمّة، بل يتحوّل القرآن الذي أنزله الله من أجل رفع اختلاف الناس إلى سبب لاختلافهم ومادّة

---

(١) مجمع البيان ١٠ : ٣٣٣ ذيل تفسير : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ .

(٢) سورة الفاطر : ١٠ .

(٣) سورة إبراهيم : ١ .

(٤) سورة الحديد: ٩.

لنزاعهم، بسبب أهوائهم وأفكارهم الخاطئة!

كيف يتعقّل الإنسان أنّ الله الذي لم يترك دور الحاجب في جمال الوجه حتّى أتقنه، مراعياً قاعدته في خلق الإنسان في أحسن تقويم، ينزل كتاباً لغرض تصوير سيرة الإنسان في أحسن تقويم، ثمّ يبطل غرضه من تنزيله ومن إرسال الرُّسل، بعدم نصبه حافظاً وشارحاً للكتاب؟!

ومن هنا يتّضح المغزى في قول النبيّ ﷺ، الذي رواه العامّة: **(من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية)**، ونحوه المضامين المشابهة المتعدّدة التي رواها الخاصّة عن الأئمّة عليهم السلام، كالذي كتبه الإمام الرضا عليه السلام إلى المأمون في شرائع الدين (وأنّ الأرض لا تخلو من حجّة لله تعالى على خلقه في كلّ عصر وأوان، وأنّهم العروة الوثقى.. إلى أن قال: ومن مات ولم يعرفهم مات ميتة جاهلية)[1].

وأخيراً، عندما نعتقد بالدور الأساس للإمام المعصوم في كلّ عصر، وتأثيره في إكمال الدين وإتمام نعمة الهداية، فلو ترك الله تبارك وتعالى دينه ناقصاً بدونه، لكان إمّا لعدم إمكان وجوده، أو لعدم القدرة، أو لعدم الحكمة، والثلاثة

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٢٢، وقريب منه في الكافي ١: ٣٧٦.

باطلة عقلاً، فيكون وجوده ثابتاً قطعيّاً .

الدليل النقلي على ضرورة وجوده، حديث الثقلين نموذجاً :

فإنّ هذا الحديث المتّفق على صحّته عند الفريقين يدلّ على وجود إمام في كلّ زمان من أهل بيت النبوّة عليهم السلام إلى يوم القيامة، لا يفترق عن القرآن، ولا يفترق القرآن عنه (لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض) [١] .

ولمّا كانت حجّة الله على الخلق هي الحجّة البالغة، جرت هذه الحقيقة على لسان ابن حجر الهيتمي المعروف بالتعصّب حيث قال :

(والحاصل أنّ الحثّ وقع على التمسّك بالكتاب والسنّة وبالعلماء بهما من أهل البيت، ويستفاد من مجموع ذلك بقاء الأمور الثلاثة إلى قيام الساعة .

ثمّ اعلم أنّ لحديث التمسّك بذلك طرقاً كثيرة، وردت عن نيف وعشرين صحابياً) [٢] .

ومذهب الحقّ :

وجوب وجود عالِم بالقرآن من أهل البيت عليهم السلام ،

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ٣ : ١٤ وغيرها، سنن الترمذي ٥ : ٣٢٩ .

(٢) الصواعق المحرقة ص١٥٠ .

عالم بكلّ ما فيه، وأنّ الأمّة بلا استثناء مأمورةٌ بالتمسّك بالكتاب والسنّة وبهذا الإمام، وأنّ اهتداء أيّ مسلم يتوقّف على هذا التمسّك، وإطاعة ذلك الإمام.

فقد ثبت اعتقاد الشيعة بالإمام الثاني عشر عليه السلام، وظهوره. مضافاً إلى الأحاديث المتواترة عن المعصومين عليهم السلام، وهي إحدى الطرق المثبتة للإمامة.

آية في الإمام المهدي:

هناك آيات كثيرة فسرت بالإمام المهدي عليه السلام نكتفي بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[1].

فقد فسرت بالإمام المهدي عليه السلام وأصحابه[2].

ومضمون هذه الآية موجود في: كتاب المزامير. زبور داود. المزمور السابع والثلاثين:

(لأنّ الربّ يحبّ الحقّ ولا يتخلّى عن أتقيائه. إلى الأبد يحفظون. أمّا نسل الأشرار فينقطع. الصدِّيقون يرثون الأرض ويسكنونها إلى الأبد. فم الصديق يلهج بالحكمة، ولسانه

---

(١) سورة الأنبياء: ١٠٥.

(٢) تفسير القمّي ٢: ٧٧، ينابيع المودّة ٣: ٢٤٣.

ينطق بالحقّ، شريعة إلهه في قلبه، لا تتقلقل خطواته) .

وفي المزمور الثاني والسبعين :

(اللّهمَّ أعط أحكامك للملك وبارك لابن الملك . يدين شعبك بالعدل ومساكينك بالحقّ . تحمل الجبال سلاماً للشعب والآكام بالبرّ . يقضي لمساكين الشعب . يخلّص بني البائسين ويسحق الظالم . يخشونك ما دامت الشمس ودام القمر إلى دور فدور . ينزل مثل المطر على الجزاز، ومثل الغيوث الذارفة على الأرض . يشرق في أيّامه الصدق، وكثرة السلام إلى أن يضمحل القمر . ويملك من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقاصي الأرض . أمامه تجثو أهل البرية . وأعداؤه يلحسون التراب) .

الفصل الخامس : عقيدتنا في البعث والمعاد

نعتقد أن الله تعالى يبعث الناس بعد الموت في خلق جديد في اليوم الموعود به عباده، فيثيب المطيعين ويعذب العاصين وهذا أمر على جملته وما عليه من البساطة في العقيدة اتفقت عليه الشرائع السماوية والفلاسفة، ولا محيص للمسلم من الاعتراف به عقيدة قرآنية جاء بها نبينا الأكرم ﷺ، فإن من يعتقد بالله اعتقادا قاطعا ويعتقد كذلك بمحمد رسولا منه أرسله بالهدى ودين الحق لا بد أن يؤمن بما أخبر به القرآن الكريم من البعث والثواب والعقاب والجنة والنعيم والنار والجحيم، وقد صرح القرآن بذلك ولمح إليه بما يقرب من ألف آية كريمة . وإذا تطرق الشك في ذلك إلى شخص فليس إلا لشك يخالجه في صاحب الرسالة أو وجود خالق الكائنات أو قدرته، بل ليس إلا لشك يعتريه في أصل الأديان كلها وفي صحة الشرائع جميعها .

والأدلة عليه كثيرة عقلية ونقلية، أما من النقل فالآيات

الكثيرة يعرفها كل قارئ للقرآن الكريم، وأما من العقل فبأن نقول :

كلّ عاقل يدرك أنّ العالم والجاهل، والمتخلّق بالأخلاق الفاضلة والمتخلّق بالأخلاق الرذيلة، والمحسن والمسيء في الأقوال والأعمال، ليسا سواء، والتسوية بينهما ـ فضلاً عن ترجيح المرجوح على الراجح القبيح عقلاً ـ ظلم وسفاهة .

ومن جهة أخرى، فإنّا نرى أنّ المحسنين والمسيئين لا ينالون جزاءهم في الحياة الدنيا كما ينبغي، فمقتضى العدل والحكمة وجود البعث والحساب، والثواب والعقاب ﴿ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[1] على ما يقتضيه ارتباط العمل بالجزاء، فإنّهم لا ينالون جزاء أعمالهم كما ينبغي في هذه الدُّنيا، فإذا كانت لا توجد دار أخرى يتحقّق فيها الحساب والجزاء والعقاب المتناسب مع عقائد الناس وأعمالهم، لكان ذلك ظلماً .

إنّ عدل الله تعالى يستوجب وجود البعث والحساب والثواب والعقاب : ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ

---

(١) سورة الجاثية: ٢٢.

نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾[1].

عقيدتنا في المعاد الجسماني :

المعاد الجسماني ضرورة من ضروريات الدين الإسلامي، دلّ صريح القرآن الكريم عليها ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴾[2].

وما المعاد الجسماني على إجماله إلا إعادة الإنسان في يوم البعث والنشور ببدنه بعد الخراب، وإرجاعه إلى هيئته الأولى بعد أن يصبح رميما .

---

(١) سورة ص : ٢٨ .

(٢) سورة القيامة : ٣ .

عقيدتنا في الرجعة

إن الذي تذهب إليه الإمامية أخذا بما جاء عن آل البيت عليهم السلام أن الله تعالى يعيد قوما من الأموات إلى الدنيا في صورهم التي كانوا عليها، فيعز فريقا ويذل فريقا آخر، ويديل المحقين من المبطلين والمظلومين منهم من الظالمين، وذلك عند قيام مهدي آل محمد عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام. ولا يرجع إلا من علت درجته في الإيمان أو من بلغ الغاية من الفساد، ثم يصيرون بعد ذلك إلى الموت، ومن بعده إلى النشور وما يستحقونه من الثواب أو العقاب، كما حكى الله تعالى في قرآنه الكريم تمني هؤلاء المرتجعين الذين لم يصلحوا بالارتجاع فنالوا مقت الله أن يخرجوا ثالثا لعلهم يصلحون: ﴿ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ﴾[1].

نعم قد جاء القرآن الكريم بوقوع الرجعة إلى الدنيا،

(١) سورة المؤمن: ١١.

وتظافرت بها الأخبار عن بيت العصمة . والإمامية بأجمعها عليه إلا قليلون منهم تأولوا ما ورد في الرجعة بأن معناها رجوع الدولة والأمر والنهي إلى آل البيت بظهور الإمام المنتظر، من دون رجوع أعيان الأشخاص وإحياء الموتى .

الرجعة دليل القدرة البالغة لله تعالى كالبعث والنشر، وهي من الأمور الخارقة للعادة التي تصلح أن تكون معجزة لنبينا محمد وآل بيته صلى الله عليه وعليهم وهي عينا معجزة إحياء الموتى التي كانت للمسيح عليه السلام، بل أبلغ هنا لأنها بعد أن يصبح الأموات رميما ﴿ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾[1].

وأما من طعن في الرجعة باعتبار أنها من التناسخ الباطل، فلأنه لم يفرق بين معنى التناسخ وبين المعاد الجسماني، والرجعة من نوع المعاد الجسماني، فإن معنى التناسخ هو انتقال النفس من بدن إلى بدن آخر منفصل عن الأول، وليس كذلك معنى المعاد الجسماني، فإن معناه رجوع نفس البدن الأول بمشخصاته النفسية فكذلك الرجعة . وإذا كانت الرجعة تناسخا فإن إحياء الموتى على يد عيسى عليه السلام كان

(١) سورة يس : ٧٨ ـ ٧٩ .

تناسخا ، وإذا كانت الرجعة تناسخا كان البعث والمعاد الجسماني تناسخا .

أما أن الرجعة مستحيلة فقد قلنا أنها من نوع البعث والمعاد الجسماني غير أنها بعث موقوت في الدنيا ، والدليل على إمكان البعث دليل على إمكانها . ولا سبب لاستغرابها إلا أنها أمر غير معهود لنا فيما ألفناه في حياتنا الدنيا ، ولا نعرف من أسبابها أو موانعها ما يقربها إلى اعترافنا أو يبعدها وخيال الإنسان لا يسهل عليه أن يتقبل تصديق ما لم يألفه ، وذلك كمن يستغرب البعث فيقول : ﴿مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ فيقال له : ﴿يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍۢ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾.

نعم في مثل ذلك، مما لا دليل عقلي لنا على نفيه أو إثباته أو نتخيل عدم وجود الدليل، يلزمنا الرضوخ إلى النصوص الدينية التي هي من مصدر الوحي الإلهي، وقد ورد في القرآن الكريم ما يثبت وقوع الرجعة إلى الدنيا لبعض الأموات كمعجزة عيسى عليه السلام في إحياء الموتى : ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[1] ، وكقوله تعالى : ﴿أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ

ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ﴾[١] والآية المتقدمة : ﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾[٢]، فإنه لا يستقيم معنى هذه الآية بغير الرجوع إلى الدنيا بعد الموت، وإن تكلف بعض المفسرين في تأويلها بما لا يروي الغليل ولا يحقق معنى الآية.

كما لا يستقيم معنى قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾[٣] إلا بالرجعة ؛ لأن الله تعالى يقول في آية أخرى : ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾[٤]، فالحشر في يوم القيامة يكون للجميع، فمتى يكون الحشر لفوج من كل أمة ؟ لا يكون إلا في الرجعة .

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٩ .

(٢) سورة غافر : ١١ .

(٣) سورة النمل : ٨٣ .

(٤) سورة الأنعام : ٢٢ .

البداء في الإنسان والإبداء من الله تعالى

البداء في الإنسان أن يبدو له رأي في الشيء لم يكن له ذلك الرأي سابقا ، بأن يتبدل عزمه في العمل الذي كان يريد أن يصنعه، إذ يحدث عنده ما يغير رأيه وعلمه به، فيبدو له تركه بعد أن كان يريد فعله، وذلك عن جهل بالمصالح وندامة على ما سبق منه .

والبداء بهذا المعنى يستحيل على الله تعالى لأنه من الجهل والنقص وذلك محال عليه تعالى ولا تقول به الإمامية .

قال الصادق عليه السلام : (من زعم أن الله تعالى بدا له في شيء بداء ندامة فهو عندنا كافر بالله العظيم)[1].

والصحيح في ذلك أن نقول كما قال الله تعالى في محكم كتابه : ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[2].

ومعنى ذلك أنه تعالى قد يظهر شيئاً على لسان نبيه أو وليه

---

(١) الاعتقادات للشيخ المفيد ص٤١ .

(٢) سورة الرعد : ٣٩ .

أو في ظاهر الحال لمصلحة تقتضي ذلك الإظهار، ثم يمحوه فيكون غير ما قد ظهر أولا، مع سبق علمه تعالى بذلك، كما في قصة إسماعيل عليه السلام لما رأى أبوه إبراهيم عليه السلام أنه يذبحه، فما يصدر من الله تعالى هو إبداء شيء لعباده بواسطة النبي أو الإمام ثم هو سبحانه وتعالى يظهر خلاف ذلك لمصلحة في الإبداء الأول وفي إظهار الخلاف بعد ذلك.

وقريب من البداء في هذا المعنى نسخ أحكام الشرائع السابقة بشريعة نبينا صلى الله عليه وآله، بل نسخ بعض الأحكام التي جاء بها نبينا صلى الله عليه وآله.

التقية

التقية : هي كتمان الحق، وستر الاعتقاد به خوفاً من المخالفين.

روي عن صادق آل البيت عليه السلام في الأثر الصحيح : (التقية ديني ودين آبائي)[1] و (من لا تقية له لا دين له)[2].

كانت التقية شعاراً لآل البيت عليهم السلام ، دفعا للضرر عنهم وعن أتباعهم وحقنا لدمائهم، واستصلاحا لحال المسلمين وجمعا لكلمتهم .

وما زالت سمة تعرف بها الإمامية دون غيرها من الطوائف والأمم ؛ لما لاقوه من ضروب المحن وصنوف الضيق على حرياتهم في جميع العهود ما لم تلاقه أية طائفة أو أمة أخرى، فاضطروا في أكثر عهودهم إلى استعمال التقية بمكاتمة المخالفين لهم وستر اعتقاداتهم وأعمالهم المختصة بهم عنهم،

---

(١) الكافي ٢ : ١٧٤ ح ١٢ .

(٢) الكافي ٢ : ١٧٢ ح ٢ .

لما كان يعقب ذلك من الضرر في الدين والدنيا . ولهذا السبب امتازوا (بالتقية) وعرفوا بها دون سواهم .

وكل إنسان إذا أحس بالخطر على نفسه أو ماله بسبب نشر معتقده أو التظاهر به لا بد أن يتكتم ويتقي في مواضع الخطر، وهذا أمر تقضيه فطرة العقول .

وقد استغل هذه العقيدة من أراد التشنيع على الإمامية، فجعلوها من جملة المطاعن فيهم، وكأنهم كان لا يشفى غليلهم إلا أن تقدم رقابهم إلى السيوف لاستئصالهم عن آخرهم في تلك العصور التي يكفي فيها أن يقال هذا رجل شيعي ليلاقي حتفه على يد أعداء آل البيت من الأمويين والعباسيين، بله العثمانيين .

وإذا كان طعن من أراد أن يطعن يستند إلى زعم عدم مشروعيتها من ناحية دينية، فإنا نقول له مضافاً إلى ضرورة العقل كما قدمنا :

أولا : أننا متبعون لأئمتنا عليهم السلام ونحن نهتدي بهداهم، وهم أمرونا بها وفرضوها علينا وقت الحاجة، وهي عندهم من الدين .

وثانيا : قد ورد تشريعها في نفس القرآن الكريم :

١- قال تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾[١] وقد نزلت هذه الآية في عمار بن ياسر الذي التجأ إلى التظاهر بالكفر خوفا من أعداء الإسلام .

٢- وقال تعالى : ﴿ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾[٢] .

٣- وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ ﴾[٣] .

٤- قصة أصحاب الكهف .

وقد ورد أيضاً حكم التقية في روايات العامة ، فمنها :

١- ما في البخاري (وقول الله تعالى إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم، وقال الا أن تتقوا منهم تقاة، وهي تقية ، وقال : إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض إلى قوله : واجعل لنا من لدنك نصيرا . فعذر الله المستضعفين الذين لا يمتنعون من ترك ما أمر الله به، والمكره لا يكون

---

(١) سورة النحل : ١٠٦ .

(٢) سورة آل عمران : ٢٨ .

(٣) سورة غافر : ٢٨ .

إلا مستضعفا غير ممتنع من فعل ما أمر به .

وقال الحسن : التقية إلى يوم القيامة)[1].

٢- وفي كتاب المصنف : ..عن عبد الأعلى عن ابن الحنفية قال : سمعته يقول : (لا إيمان لمن لا تقية له)[2].

٣ - وفيه أيضاً : عن الحارث بن سويد عن عبد الله قال : (ما من كلام أتكلم به بين يدي سلطان يدرأ عني به ما بين سوط إلى سوطين إلا كنت متكلما به)[3].

٤- عن عبد الملك بن ميسرة عن النزال بن سبرة قال : (دخل ابن مسعود وحذيفة على عثمان، فقال عثمان لحذيفة : بلغني أنك قلت كذا وكذا ؟ قال : لا والله ما قلته، فلما خرج قال له عبد الله : ما لك فلم تقوله ما سمعتك تقول ؟ قال: إني أشتري ديني بعضه ببعض مخافة أن يذهب كله)[4].

---

(١) البخاري في صحيحه ج٨ ص٥٥ باب الإكراه .

(٢) المصنف لابن أبي شيبة ج٧ ص ٦٤٣ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) المصدر السابق .

خاتمة

وفي ختام هذا المختصر نقول : قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾[1].

وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[2].

فينبغي أخذ هذا الدين بهذه القيم من أهله، والأمناء عليه، ليؤخذ من معينه الصافي، كما ينبغي اتباعهم، والاقتداء بهم، وسلوك أخلاقهم، وموالاتهم، والاجتناب عن أعدائهم ليتحقق امتثال قوله تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[3] ؛ فإنه عليه السلام قال في الحديث الصحيح المتقدم :

---

(١) سورة آل عمران : ١٩

(٢) سورة الأنعام : ١٦١ .

(٣) سورة الحشر : ٧ .

(..يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي)، فالأخذ عن العترة أمان من الضلال، كما أن تركهم والأخذ من غيرهم وقوع في الضلال، فمن أراد الأخذ بالدين القيّم والعمل بما فيه من القِيَم فعليه أن ييمّم صوب ذلك النبع المتدفق بالهداية والتقوى ليسلك الصراط المستقيم وينجو من عذاب الجحيم .

وبهذا نختم الكلام في هذا المختصر ونسأل الله تعالى القبول والبركة والنفع به.

وكان الانتهاء من تحريره في شهر ربيع الثاني من سنة ١٤٢٨هـ في مدينة قم المقدسة صانها الله من الحدثان وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين .

المحتويات



هــذه الأوراق كـتـبـتـهــا
استجابة لمن يهمني أمــره ؛
خلاصـة مختصـرة لبـيـان
مـهـمـات عـقـائـد الشيـعـة
الإمامية ووضعتها تسهيلاً
للناشئة ولمن أحب الإطـلاع
على عقائدهم من مصادرهم

المؤلف